منير شمّاعة

اسامة الخالدي

ضحايا الجهل
مَنْ هُم العرب؟



رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

The Victims of Ignorance:
Who are the Arabs?

Mounir Shama'a & Osama Al-Khalidi

Translated by: Rana Adnan Fneish

First Published in September 2010

BEIRUT - LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb - www.elrayyes-books.com
www.elrayyesbooks.com

ISBN 9953 - 21 - 465 - 4

الطبعة الأولى: ايلول (سبتمبر) ٢٠١٠

لشراء النسخة الإلكترونية:
www.arabicebook.com

تصميم الغلاف: هوساك كومبيوتر برس

المحتويات

إهداء	١١
تحية وشكر	١٣
تمهيد	١٥
المقدّمة	١٩
١ - الأرض العربية	٢٣
أ - المياه العربية	٣٣
١ - نهر النيل	٣٥
٢ - نهر الفرات	٣٦
٣ - نهر دجلة	٣٧
٤ - نهر الأردن	٣٧
٥ - أنهار لبنان وسورية	٣٩
ب - مشكلة المياه العربية ـ الإسرائيلية	٤٠

٢ – الشّعب العربي ٤٣
أ – اعتبارات عامه ٤٣

ب – الخصائص العربية ٤٩
التّسامح العربي ٥٢
التّسامح الديني ٥٤
التّسامح العنصري ٥٤
ج – السكان العرب ٥٥
د – النساء العربيات ٥٦
هـ – هل العرب أغنياء؟ ٦٢

٣ – الدين والعرب ٦٥
الإسلام ٦٦
الجهاد ٧١

أديان إبراهيمية مقارنة ٧٤
اعتقادات دينيّة ٧٦
التطور ٨٠

التشدّد الديني ٨٠
التشدّديّة اليهوديّة ٨١
التشدّديّة المسيحيّة ٨٢
التشدّد الإسلامي ٨٣

٤ – أصل الصراع العربي الإسرائيلي ٨٥
أ – أوروبا والعرب ٨٥

ب – الولايات المتحدة والعرب ٨٨
ج – بدايات دولة إسرائيل ٩٥
لماذا ومتى وأين وكيف ٩٥
د – أرض فلسطين ٩٧

٥ – شر الجنس البشري ١٠٧
أ – الإرهاب ١٠٧
ب – إنتحاريون أو مقاتلون في سبيل الحريّة ١١٢

٦ – الثقافة والعلم والتكنولوجيا العربيّة – الماضي والحاضر ١١٩
أ – اسهامات العرب في المعرفة ١١٩
ب – التعليم ١٢٣
ج – العلوم والتكنولوجيا ١٢٨

٧ – تسلسلات زمنية ١٣١
أ – أحداث هامة في العالم العربي ١٣١
بِ – التسلسل الزمني لتاريخ فلسطين ١٣٥

٨ – هل تعلمون ١٥٥

٩ – الخاتمة ١٦١

فهرس الأعلام ١٦٧

فهرس الأماكن ١٧١

إهداء

إلى من يحترم العدالة والإنصاف
والحقوق المتساوية لجميع البشر.

منير شمّاعة وأسامة الخالدي

تحيّة وشكر

يدين الكاتبان بفضل خاص على المساعدة والتشجيع إلى من كلٍ الأستاذ طريف الخالدي ورملة الخالدي والدكتور نوّاف سلام والدكتور كمال صليبي ورسل هاريس وليلى القاضي وديفيد هيرست وصالح شبل ورنده فتّال والأمير طلال بن محمد. ويتوجهان بشكر خاص إلى ماريان معاصري وأمال سعيد اللتين لولا جهودهما لما أبصرت هذه المخطوطة النّور.

تمهيد

منذ البداية، يجب أن يفهم القارئ أنّ كاتبي هذا الكتاب لا يعتبران نفسيهما خبيرين في التّاريخ والعلوم السّياسيّة والاقتصاد أو أيّ اختصاص آخر في مجال الإنسانيّات. ومع ذلك، فقد كان لهما مشاركة طويلة الأمد وواسعة النّطاق في مجال العلوم الطبيعيّة ونتيجة لذلك فهما شديدا الالتزام بمبادئ الفكر العلميّة حيث يتمّ ذكر الحقائق والتقارير والحوادث والأرقام والتّواريخ بعد التوثيق الكامل. ولهذا السبب، سيلاحظ القارئ أنّه في الفصول التي تتناول القضايا الحسّاسة والمثيرة للجدل كقضيّة الصراع العربي الإسرائيلي، فقد اختارا الاستشهاد بتقارير وآراء علماء غير عرب ليتفاديا التّحيز، ولأنّ معظم الغربيّين يتّهمون العرب بالانحياز. لقد تعمّد الكاتبان عدم استعراض قضيّة الحرب على العراق لأنّها ما زالت تمرّ بمرحلة اضطراب وعنف، وما زالت جميع التنبؤات بالنسبة إلى نتائج هذه الحرب على درجة كبيرة من التضارب. ومع ذلك يؤمن الكاتبان على غرار معظم الكتّاب الغربيين بأنّ ذرائع احتلال العراق زائفة. وفي الحاضر، نشكّك أيضاً في فوائد هذه الحرب على الشعب العراقي سواء كانت هذه الفوائد متمثّلة بإعادة الدولة الديموقراطيّة أو تحسين الوضع الأمني والمستوى المعيشي. وتُعتبر ضريبة الموت التي دفعها العراقيون، والتي بلغت مئات الآلاف من الشهداء

والملايين من اللاجئين داخل العراق وخارجه، وكشف مذبحة الفلّوجة، وزيادة العنف الطائفي، أدلّة جديدة على تدهور الوضع في هذا البلد.

ومع استحالة التعامل بموضوعيّة كاملة مع الأزمات في العالم العربي، فقد حاول الكاتبان أن يكونا على أكبر قدر من الحياديّة والتوازن والدقّة. فقد التزما بالقول العربي المأثور، **وخير الحيل الحقيقة**. ومع ذلك، يمكن أن تكون الحقيقة مؤلمة أحياناً. وقد لا يستمتع العرب والعرب الأميركيون بفضح الخلافات العربيّة في قسم «**خصائص العرب**». وعلى نحو مماثل، فإذا قرأ القادة العرب هذا الكتاب فسيجدون بعضاً من فصوله غير مجاملة لإنجازاتهم. ولن يشعر العديد من اليهود بالرضى لدى ملاحظتهم تكرار ما ذكره المؤسّسون الصهيونيّون وقادة دولة إسرائيل في ما يخصّ العرب في المطبوعات المنشورة. وكذلك ينجم نقد الكاتبين لسياسة الإدارة الأميركيّة الحاليّة غير المتوازنة والمتحيّزة عن إيمانهما الراسخ بمبادئ الديموقراطيّة الأميركيّة وحقوق الإنسان والعدالة التي تعلماها من نظرائهما الأميركيين خلال مشاركتهما الطويلة كتلامذة وأساتذة في المؤسّسات التّربويّة الأميركيّة. ويركّز هذا الكتاب على الشرق الأوسط والمشكلة الفلسطينيّة نظراً لكونهما موقعيّ الصّراعات الرئيسي في العالم العربي. وفي القسم الأخير من هذا الكتاب أي في الخاتمة، عبّر الكاتبان بحريّة عن آرائهما المتعلّقة بسياسة الإدارة الأميركيّة في السنوات الخمسين الأخيرة، هذه السياسة التي تشرح لماذا يرى أكثر العرب، بمن فيهم الليبراليّون

المعتدلون، أميركا غير منصفة وغير عادلة وبأنّها تتّبع سياسية تتعارض مع مصالحها ومع مصالح العالم العربي. وبخلاف الفصول الأخرى، يُعبّر هذا الفصل الأخير عن رأي الكاتبين وعدد كبير من الناس في العالم العربي. وأخيراً، فإنّ الكاتبين يتحمّلان كامل المسؤولية عن أي خطأ في التوثيق أو الحكم ويلتمسان سماح خبراء هذا المجال على أي تطفّل على عملهم.

منير شمّاعة

أسامة الخالدي

بيروت، كانون الثاني ٢٠٠٦

المقدّمة

قد يتساءل القارئ عن الأسباب التي حدت على كتابة هذا الكتاب. إنّ الدافع هو حادثة بسيطة جداً، لكن استفزازيّة وقعت في ليلة صافية وهادئة من شهر آذار من العام ٢٠٠٤ حين قرّر الكاتبان أن يتناولا العشاء مع زوجتيهما في مطعم لبناني شعبي في منطقة رأس بيروت مشهور بأطباق اللحمة المتنوّعة. وليس مطعم «الإسطمبولي» (نسبةً الى إسطمبول) معروفاً لدى السّياح، فالذين يرتادونه هم في الأكثر من سكان رأس بيروت القدماء.

وبعد مرور فترة وجيزة على جلوسنا، دخل رجلان وامرأتان إلى المطعم بدا من الواضح أنّهم غرباء وجلسوا إلى الطاولة المجاورة لنا. ولم يلزمنا الكثير من الوقت لنميّز في كلامهم لكنة أميركيّة. وكان هناك صعوبة في التواصل بينهم وبين النّادل الذي لم يكن يجيد اللغة

الإنكليزيّة. ولدى سماعنا هذا، تطوّعنا لنترجم لهم وعرضنا عليهم خياراً من الأطباق. وعند انتهاء الوجبة، دعوناهم إلى تناول القهوة معنا.

وبعد التعارف، اكتشفنا أنّ الزوجين الأكبر سناً هما والدا الشاب الذي أتى الى لبنان مع زوجته ليدرّس اللغة الإنكليزيّة في إحدى المدارس الثانويّة في بيروت. استغرق الحديث دقائق قليلة قبل أن ينساق إلى قضيّة اليوم الأساسيّة أي قضيّة العراق. كان إدراك زوّارنا للعرب والإسلام مغايراً لكلّ ما نعرفه. فقاموا أوّلاً بتهنئتنا على كوننا لبنانيين لا عرباً وفوجئوا حين أخبرناهم بأنّ اللبنانيين عرب. واستنتج السيد الأكبر سنّاً قائلاً «لا بدّ أن تكونوا إذاً عرباً مسيحيين». وأضاف قائلاً، «لقد كان لدينا الانطباع بأنّ لجميع العرب لحى وشوارب ولكنّ لحيتيكما محلوقتان، وزوجتيكما لا تضعان الحجاب وهما ترتديان ثياباً كثياب النساء الأميركيات». فأجبناه بأنّه محق ولكن بنسبة ٥٠٪ لأنّ أحدنا مسيحي متزوّج بمسيحيّة، أمّا الآخر فهو مسلم متزوّج بامرأة مسيحيّة. ومرّت لحظة قلق بعد أن أفصحنا لهم عن اسمينا لأنّ أحدنا يحمل اسم «أسامة» الذي أصبح اليوم ذا سمعة سيّئة. فمضينا نشرح لهم بأنّ اسم أسامة يعني الأسد هو اسم شائع في اللغة العربيّة وأنّ كثيراً من المسيحيين والمسلمين يحملونه. ثم قدّمنا أنفسنا بمزيد من التفصيل. كان الدكتور أسامة الخالدي رئيس قسم الكيمياء الحيويّة في جامعة بيروت الأميركيّة وينتمي إلى عائلة معروفة في

القدس. درس في جامعة بيروت الأميركيّة ونال شهادة الدكتوراه من جامعة ميتشيغن ثمّ عاد إلى لبنان ليدرّس في جامعته الأم (أي الجامعة الأميركيّة). وعلى نحو مشابه، فإنّ الدكتور منير شمّاعة هو أستاذ في الطب في المركز الطبّي في الجامعة الأميركيّة في بيروت. وقد أمضى معظم حياته في مؤسسات أكاديميّة أميركيّة ونال شهادة الزمالة من كلية الطب في جامعة هارفرد ومستشفى ماساتشوستس العام في بوسطن. وقد تعاونّا في عدد من المشاريع العلميّة وتشاركنا في تأليف عدد من المقالات في مجلات علمية عالميّة. حتى إنّنا في وقت من الأوقات تماثلنا بالحضارة الأميركيّة تماثلنا بحضارتنا. وأكّدنا لهم بأنّ المسلمين والمسيحيين منهم من هو جيّد ومنهم من هو سيئ وبشع كسائر البشر. وذكّرناهم بأنّ جميع العالم العربي والإسلامي قد شاهد برعب وقائع ذلك اليوم المروّع من شهر أيلول في العام ٢٠٠١ وشاركهم أساهم. وفي الوقت نفسه أكّدنا لهم بعض الحقائق الرئيسيّة الأخرى كعدم مسؤوليّة الإسلام أو العرب عن المحرقة اليهودية، وعن القنبلتين النوويتين اللتين سقطتا على هيروشيما وناغازكي، وأضفنا أنّ المسلمين والعرب لا علاقة لهم بمعظم المآسي الإنسانيّة التي ارتكبت في العالم. وأحسسنا بأنّ هذه جرعة كافية لهم لتلك الليلة وأنّ الوقت كان متأخراً جداً لمناقشة القضيّة الإسرائيليّة التي كانوا متحمسين لمعرفة المزيد عنها.

قادتنا هذه الجلسة المشوّقة المقترنة بموقف الإدارة

الأميركيّة وسياستها السائدة في هذا القسم من العالم إلى أن نكتب كتاباً تمهيدياً موجّهاً إلى الناس العاديّين من الشعب الأميركي وإلى شعوب في العالم العربي نشرح فيه من هم العرب فعلاً كما نشرح الصّراع الفلسطيني الإسرائيلي، ونختتم بأنّ لمسلمي العالم خصائص كسائر البشر بخلاف المعتقدات الشّعبية السائدة في البلدان الغربية.

١

الأرض العربيّة

«إنّ الغاز والنفط في كلّ مكان ولكن ليس هناك من قطرة ماء للشرب».

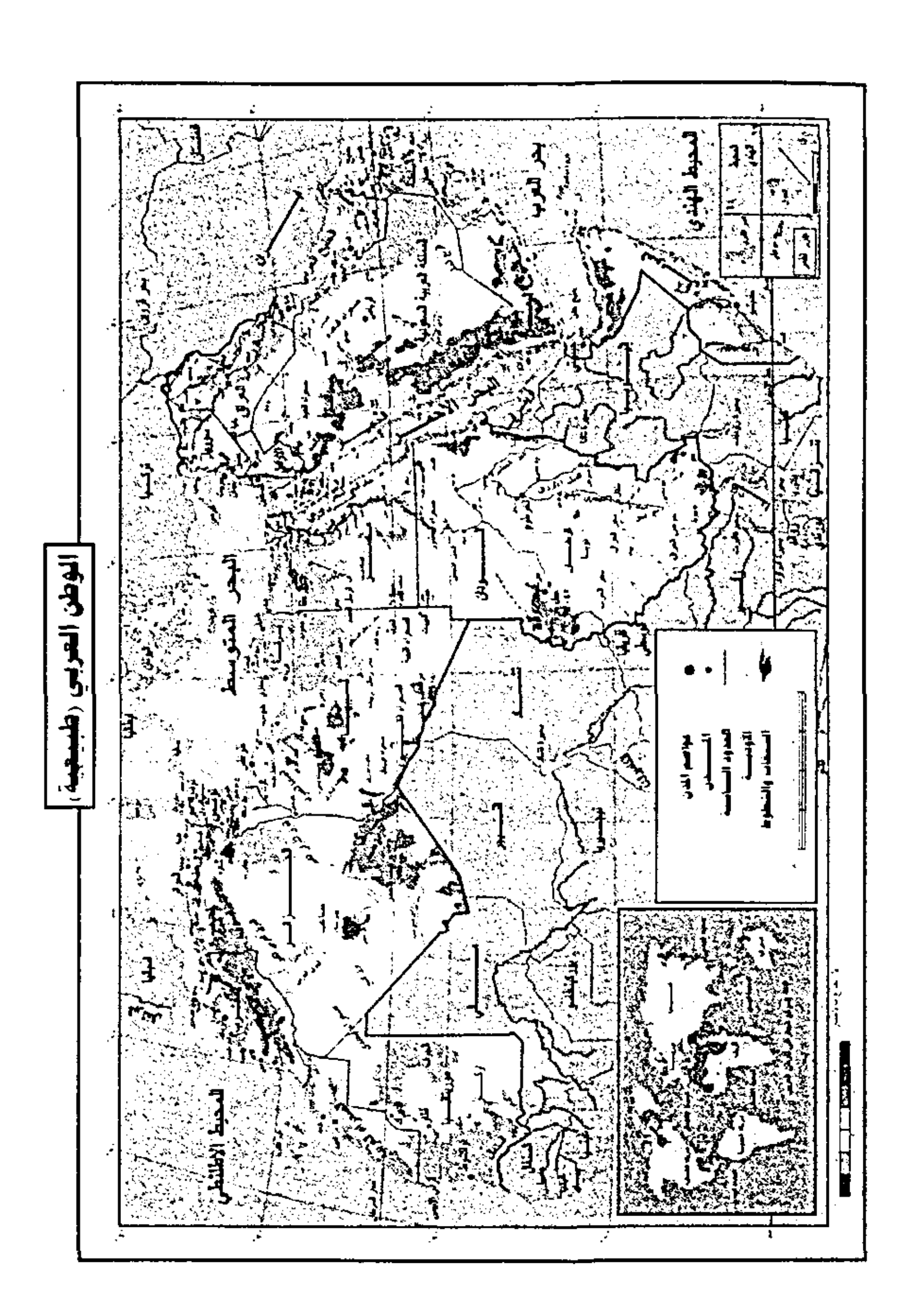
لنتمكن من إدراك معنى العالم العربي وشعبه ككل، يعتقد الكاتبان أنّه من الأساسي أن يبدأ هذا الكتاب بمقدمة مختصرة عن جغرافيا العالم العربي وسكانه. فهناك المفاهيم الخاطئة التي ترعرع عليها الغربيون وبعض العرب الذين يثقون بوسائل الإعلام الغربية.

يتألّف العالم العربي من اثنتين وعشرين دولة تتشاطر اللغة والتراث نفسيهما. وتختلف البلدان العربيّة كثيراً من حيث الجغرافيا والثقافة والتاريخ وحالة التطور والثروة. وعلى الرغم من هذه الاختلافات الكبرى، تولّد اللغة العربيّة (نظراً لكونها إحدى أقدم اللغات الدائمة الاستعمال) والحضارة المرتبطة بها شعوراً عاطفياً بالوحدة وإن لم يكن سياسياً. هناك اثنتا عشرة دولة عربية في آسيا وعشرة في أفريقيا من بين هذه الدول خمس ممالك هي البحرين والسعودية

والأردن وعمان والمغرب، وثلاث مشيخات متوارثة وهي الكويت وقطر والإمارات. أمّا باقي الدول فهي جمهوريات. وقد قُدر عدد سكان العالم العربي في عام ٢٠٠٤ بحوالى ٣٠٧ ملايين نسمة ينتمي ٩٥٪ منهم إلى الدين الإسلامي. ويشكل العرب المسلمون ١٨٪ فقط من المسلمين في العالم، الذين يقدّر عددهم بحوالى ١,٣ بليون مسلم.

يمتد العالم العربي من شاطئ المحيط الأطلسي لأفريقيا الشماليّة في الغرب إلى الخليج العربي في الشرق. وتبلغ مساحته ٨,٨ مليون كلم مربع أكثرها صحراء، وهذا ما يزيد خمسين في المئة على مساحة الولايات المتحدة الأميركية (انظر إلى خريطة العالم العربي). وتحتوي هذه المنطقة على ٧٠٪ من احتياطي مخزون النفط والغاز الطبيعي في العالم.

السودان أكبر دول العالم العربي مساحة، ودولة اتحاد جزر القمر هي أصغرها. وتوجد الكثافة السكانيّة الأكبر في مصر، والأصغر في دجيبوتي (يلخص الجدول في نهاية فصل جغرافية العالم العربي).



الوطن العربي (طبيعية)

خريطة العالم العربي

المناطق الرئيسيّة الثلاث في العالم العربي هي شبه الجزيرة العربيّة والشّرق الأوسط والمغرب. تقع شبه الجزيرة العربيّة في جنوب غرب آسيا وتبلغ مساحتها حوالى مليون كيلومتر مربع. والبلدان التي تقع في شبه الجزيرة العربية هي السّعودية واليمن والإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين. والشّرق الأوسط هو المنطقة التي تتضمن جنوب غرب آسيا وجزءاً من شمال شرق أفريقيا. وبلدان الشرق الأوسط العربية هي سورية وفلسطين والأردن والعراق ولبنان ومصر والسودان. وفي بعض الأحيان يُشار إلى البلدان العربيّة الأربعة الأولى بسورية الكبرى. وتقع ليبيا في منتصف المسافة بين الشّرق الأوسط والبلدان العربيّة الغربيّة.

إسرائيل وتركيا وإيران هي البلدان غير العربيّة الوحيدة في الشّرق الأوسط. ويُطلق اسم الهلال الخصيب على المنطقة التي تتّخذ مسار قوس حول الصحراء السوريّة العراقية يمتد شمال شبه الجزيرة العربيّة، ويتضمن لبنان وفلسطين والأردن والعراق. وكانت هذه المنطقة الخصبة سابقاً بمثابة خبز للشرق الأوسط، ولخمسة آلاف سنة على الأقل كانت مأهولة بالشّعوب السامية. وقد تطوّر المجتمع العربي والثّقافة العربيّة الإسلامية المميّزة في هذا الهلال الخصيب (الذي تحدّه اليونان من الغرب وإيران من الشّرق) لا سيّما في مدن كبغداد ودمشق وحلب والكوفة والنجف.

والمغرب هي المنطقة العربيّة الثالثة «الغرب». وتتضمّن شمال غرب أفريقيا، وبلدانها المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا.

وكانت هذه المنطقة مأهولة بالبربر بشكل رئيسي (كان البربر يتحدثون بلهجة تنتمي إلى أسرة الحاميّة الساميّة)، وقد بدأ تعريب هذه الأرض بعد الغزو العربيّ لشمال أفريقيا في منتصف القرن السابع. وهذا يحيط المبدأ الذي يستند إليه تعريف ما هو عربي ببعض الشك. ولكن في الوقت الحالي يعتبر معظم البربر اللغة العربيّة لغتهم بينما **يستعمل بعضهم** لغتهم البربريّة أحياناً.

البلاد العربية

البلد	شكل الحكومة	مساحة السطح (كلم[٢])	الكثافة السكانية (تقديرات سنة ٢٠٠٢)	الجغرافيا	المنتوجات الرئيسية
البحرين	ملكي دستوري موروث الاستقلال: ١٩٧١	٥٩٨	٦٦٧,٠٠٠	صحراء وساحل	تكرير البترول والغاز والألمنيوم وإصلاح السفن
العراق	تحت سيطرة قوة تقودها الولايات المتحدة منذ عام ٢٠٠٣	٤٤٨,٠٠٠	٢٥,٠٠٠,٠٠٠	صحراء وسهل وجبل وسهول جبلية	البترول والمنسوجات والأحذية والأغذية الجاهزة ومواد البناء والقطن والحبوب والخضار
الأردن	ملكي دستوري موروث الإستقلال: ١٩٤٦	٩٧,٧٠٠	٥,٥٠٠,٠٠٠	صحراء وجبل وسهول جبلية	الخضار والقمح والحمضيات والزيتون لإنتاج الزيت مواد غذائية وألبسة وبعض تكرير للبترول بعض صخر الفوسفات والبوتاس والمعادن الواحدة التي تنتج بكميات كبيرة
الكويت	مشيخة موروثة الاستقلال: ١٩٦١	١٦,٠٠٠	٢,٢٠٠,٠٠٠	صحراء وساحل وسهل	إنتاج وتكرير البترول وإنتاج الغاز الطبيعي والأسمدة
لبنان	جمهورية الاستقلال: ١٩٤٥	١٠,٤٨٥	٣,٧٠٠,٠٠٠	ساحل وسهل وجبل وسهول جبلية	القطاع المصرفي وتجهيز الأغذية وتصنيع المنسوجات والمواد الكيمائية والحمضيات والخضار والزيتون والتبغ.

عمان	حكم ملكي مطلق	٣١٢,٠٠٠	٢,٨٠٠,٠٠٠	صحراء وساحل وسهل وجبل	التمر والكلس والبندق والخضار والزيت وإنتاج الغاز الطبيعي واستخراج النحاس
فلسطين				صحراء وساحل وسهل	
قطر	مشيخة متوارثة الاستقلال: ١٩٧١	٢٢,٠١٤	٨٢٠,٠٠٠	صحراء وساحل	البترول والغاز والمواد الكيماوية والفولاذ والألمنيوم والإسمنت وصناعات الأسمدة والقطاع المصرفي
السعودية	ملكية	٢,١٤٩,٦٩٠	٢٥,٠٠٠,٠٠٠	صحراء وساحل	البترول والمعادن والمواد الكيماوية والبلاستيك والإسمنت والأسمدة
سورية	جمهورية الاستقلال: ١٩٤٤	١٨٥,١٨٠	١٨,٠٠٠,٠٠٠	صحراء وساحل	القمح والفواكه والخضار والشعير والشمندر والقطن والتبغ وتربية الدواجن والخراف والبترول المكرر والمنسوجات والأطعمة الجاهزة والمواد الكيماوية والمنتجات الدقيقة التصنيع

الإمارات العربية المتحدة	إتحاد الإمارات السبع المستقلة	٨٣,٦٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠	صحراء وساحل وجبل	البترول والغاز الطبيعي. القطاع المصرفي والخدمات المالية ومقر للشركات الإقليمية والسياحة والمناطق الحرّة
اليمن	جمهورية برلمانية الاستقلال: ١٩٩٠	٤٨٥,٠٠٠	٢٠,٠٠٠,٠٠٠	صحراء وساحل وسهل وجبل	البترول والملح والخضار والفواكه والكتّان والبن الخراف والماعز والجمال
الجزائر	جمهورية برلمانية الاستقلال: ١٩٦٢	٢,٣٨١,٧٤١	٣٣,٠٠٠,٠٠٠	صحراء وجبل وساحل وسهل	الحبوب والنبيذ والحمضيات والفلين المناجم وتصنيع البترول والغاز الطبيعي
جزر القمر	جمهورية اتحادية	٢,٣٠٠	٦٣٥,٠٠٠	ساحل	فانيليا ولب جوز الهند المجفف وزيوت أساسية
دجيبوتي	جمهورية الاستقلال: ١٩٧٧	٢٣,٠٠٠	٤٦٠,٠٠٠	صحراء	الفاكهة والخضار والماعز والخراف والجمال. البناء والتصنيع الزراعي
مصر	جمهورية الاستقلال: ١٩٥٤	١,٠٠١,٤٤٩	٧٥,٥٠٠,٠٠٠	صحراء وساحل وسهل	القطن والبترول المكرّر والمواد الكيماوية والمنسوجات والأطعمة الجاهزة

ليبيا	إدارة سكانية الاستقلال: ١٩٥١	٦٧٩,٣٦٢	٥,٥٠٠,٠٠٠	صحراء وساحل وجبل	البترول والغاز الطبيعي والحبوب والزيتون والخضار والبلح
موريتانيا	جمهورية تحت الحكم العسكري الاستقلال: ١٩٦٠	٢,٩١٢,٠٠٠	٣٩٧,٦٥٤	صحراء وسهل	الدخن والبلح والرز والذرة البيضاء تجارة صيد الأسماك
المغرب	ملكية دستورية الاستقلال: ١٩٥٧	١٥٧,٩٩٣	٣٢,٠٠٠,٠٠٠	صحراء وساحل وسهول جبلية	الفوسفات والحديد والنحاس والرصاص والزنك والكوبالت والمغنزيوم والفحم والسلع الجلدية والمنسوجات والحبوب والحمضيات والخضار.
صوماليا	حكومة برلمانية الاستقلال: ١٩٦٠	٢٤٦,٠٠٠	٨,٠٠٠,٠٠٠	سهل وسهول جبلية	الدواجن واللحوم والفحم والموز وجلود الحيوانات والمانجو والسكر والسرغوم والذرة واليورانيوم.
السودان	جمهورية الاستقلال: ١٩٥٦	٩٦٧,٥٠٠	٣١,١٠٠,٠٠٠	سهل وجبل	السمسم والسرغوم والدخن والفول السوداني والبلح وقصب السكر والقطن والدواجن

تونس	جمهورية الاستقلال: ١٩٥٦	١٦٤,١٥٠	١٠,٠٠٠,٠٠٠	صحراء وساحل وسهل وجبل	القمح والشعير والعنب والزيتون والسكر والشمندر والحمضيات والبلح والبترول والفوسفات والمنسوجات والفولاذ والأغذية المجهّزة

أ – المياه العربيّة

إنّ معظم مناطق الشرق الأوسط قاحلة تعاني شحاً في المياه. ومع مرور الوقت، يُصبح الوضع أكثر خطورة نتيجة للنمو السكّاني وازدياد استهلاك الفرد الواحد للماء.

وتتفاقم خطورة الوضع نظراً لتقاسم بلدان مختلفة، بعضها غير عربي، الأنهار الرئيسيّة التي هي النيل ودجلة والفرات، فضلاً عن بعض الأنهار الثانوية في الأردن ولبنان. وفي حالات متعددة، تتقاسم البلدان المصادر المائية الأخرى الرئيسيّة غير الموسميّة كمستودعات المياه الجوفية.

وهذا ما أدى إلى نزاعات عدّة بين البلدان التي تتقاسم مصادر مياهها حتى إنها في بعض الأحيان تشارف على الحرب في ما بينها.

فالنّزاع على مياه نهر الأردن كان أحد مسببات حرب ١٩٦٧ بين إسرائيل والبلدان العربية المجاورة (انظر إلى المقطع المتعلق بنهر الأردن).

وهناك ثلاثة مجار مائية مهمّة في المنطقة هي النيل ودجلة والفرات، والأنهار الأصغر هي الأردن وأنهار سورية ولبنان والمغرب. (صفحة ٣٤).

الأنهار الرئيسيّة في العالم العربي

النهر	المصدر	التدفق	الطول التقريبي (في الكيلومتر)
النيل	روافد بحيرة فكتوريا والحبشه	البحر الأبيض المتوسّط	٦٦٩٥
الفرات	ملتقى نهري قرّة صو ومراد صو	شط العرب، الخليج العربي	٢٧٨٠
دجلة	جبال طوروس، تركيا	شط العرب، الخليج العربي	١٩٠٠
العاصي	بعلبك، لبنان	البحر الأبيض المتوسّط، قرب أنطاكية	٥٧٠
الأردن	جبل الشيخ، شمال فلسطين	البحر الميت، الأردن	٢٥٠
الليطاني	بعلبك، لبنان	البحر الأبيض المتوسّط، جنوب لبنان	١٧٠

١. نهر النيل

اسم النيل مشتق من كلمة نيلوس اليونانية وتعني الوادي، وهو أطول الأنهار في العالم. ويمتد إلى مسافة ٦٦٩٥ كيلومتراً. ينبع من بحيرة فكتوريا ومن جبال الحبشة ويتدفّق شمالاً ضمن إثيوبيا والسودان ومصر ليصبّ في البحر الأبيض المتوسط. ولطالما ارتبط نهر النيل بالحياة والخصوبة والتّجديد والتطور، فهو يعيل ما يقدّر بمئة وستين مليون شخص، فضلاً عن ٣٠٠ مليون شخص تقريباً يعيشون في البلدان العشرة التي تتقاسم مياهه.

قال المؤرخ اليوناني العظيم هيرودوتس في أثناء زيارته إلى مصر «مصر هبة النيل». فمنذ القدم، امتاز النيل بفيضانات سنوية خاصة في الدلتا التي سقاها وخلّف الطمي فيها فأخصب أرضها ولكن في الوقت ذاته ، أدى هذا إلى خسارة كمّيات كبيرة من المياه.

حين أصبح عبد الناصر رئيساً لمصر كان طموحه أن يبني سداً ضخماً في صعيد مصر للحفاظ على المياه ولإنتاج الكهرباء. فأجرى مفاوضات معقّدة مع الولايات المتحدة الأميركيّة لكي تموّل هذا المشروع حين قامت إسرائيل بالهجوم على موقع عسكري مصريّ في منطقة غزّة مما أدى إلى مقتل عدد من الجنود. رفضت البلدان الغربيّة بعدها أن تبيع السلاح إلى مصر فلجأ عبد الناصر إلى تشيكوسلوفاكيا وأبرم معها اتفاقية لشراء سلاحه منها. وإلى جانب الأسباب المتّصلة بقوميته العربية وعلاقته المتدهورة مع إسرائيل، أدّت هذه الاتفاقيّة إلى انسحاب الأميركيين من صفقة السّد، مما دفع عبد الناصر إلى إعلان تأميم قناة السّويس (التي كان للحكومة البريطانيّة الحصّة الرئيسيّة فيها

والتي كان ما زال لديها حق امتياز حيازتها لبعض السنوات). فجّر تأميم قناة السّويس حرب ١٩٥٦ حين هاجمت إسرائيل والمملكة المتحدة وفرنسا مصر واحتلّت كلاً من شبه جزيرة سيناء ومنطقة القناة إلّا أنّها اضطرت إلى الانسحاب منها سريعاً بضغط روسي أميركي.

كان يمكن البلدان العديدة التي يتدفّق فيها نهر النّيل أن تخلق مشاكل لمصر التي تعتمد على هذا النهر بشكل كبير. وفي إحدى المناسبات، هدّدت إثيوبيا بأن تبني سدوداً وتحوّل مصدراً مهمّاً للمياه من النّيل.

كانت النّتائج البيئيّة لسد أسوان العالي متعددة وطويلة الأمد. فمن النّاحية الإيجابية أمّن السّد مياهاً أكثر لريّ صحارى مصر كما أمّن كميّة كبيرة من الطّاقة الكهربائية. كذلك أوقف الطوفان الموسمي في الوجه البحري من شمال مصر وأنتج بحيرة كبيرة ومناخاً أفضل **في الجنوب**. ومن النّاحية السلبيّة حرم السّد الأراضي الخصبة من الطّمي الذي يُسمّدها كلّ سنة، مما استلزم زيادة كبيرة في استعمال السماد. وفي نهاية المطاف، سوف يسبّب ازدياد الطّمي خلف السّد مشاكل كثيرة. فقد تعرّضت بعض أنواع الحيوانات لخسائر جمّة **منها خطر الانقراض لا سيّما سمكة النيل الرئويّة التي يمكن أن تتنفس بالرئة والزعانف وبذلك تعيش في الطين حين ينحسر الفيضان.**

٢. نهر الفرات

ينبع نهر الفرات من مرتفعات تركيا الشّرقية، وهو أطول نهر في

جنوب غرب آسيا، ثم يأخذ مجرى جنوبياً شرقياً وينضم إلى رافدين آخرين. وأخيراً ينضم إلى نهر دجلة بعد أن يدخل العراق، ويُطلق على هذه الأنهار المتصلة اسم شطّ العرب. ولتركيا نسبة ٦٥٪ من مياه نهري الدجلة والفرات.

٣. نهر دجلة

ينبع نهر دجلة من مرتفعات تركيا الشّرقية أيضاً ولكن تأتي المساهمة الرئيسية للنّهر من روافده في العراق. ويجري من مدينة بغداد ثمّ ينضم إلى نهر الفرات ويستمر مروره في شطّ العرب والخليج العربي.

بقيت بلاد الرافدين، التي تُعرف اليوم بالعراق، وهي الأرض التي تقع بين نهري دجلة والفرات، مركزاً لحضارات مختلفة وبعثت الحياة إلى ملايين السّكان (المقيمين). وتقع أنقاض مدن قديمة عديدة على ضفاف نهر دجلة من بينها مدن نينوى وكالاه وآشور والمدائن وسيلوسيا.

٤. نهر الأردن

يعتبر المسيحيون بصورة خاصّة نهر الأردن مقدّساً لأنّ المسيح قد عُمّد فيه. في الواقع، يقوم العديد من المسيحيّين الشرقيّين في جميع أنحاء العالم بتعبئة مياه النهر في قنان ثمّ يوزعونها في **جميع أنحاء العالم** لخدمات المعموديّة.

في عام ١٩٥٠ بدأ الإسرائيليون بتحويل مياه النهر عبر رفع السّد

الصغير على بحيرة طبرية واستخدامها كمستوعب يضخّون منه المياه بواسطة أنابيب كبيرة إلى المستعمرات اليهوديّة في صحراء النّقب حوالي ٣٦٠ كيلومتراً إلى الجنوب مستهلكين أكثر بكثير من حصّتهم من المياه. وبالإضافة إلى هذا، فقد قاموا بتغطية الينابيع المالحة حول بحيرة طبرية **وضخوا** المياه المالحة منها ومن **المزارع** السّمكية إلى نهر الأردن. فإلى جانب السّدود الأرضيّة السوريّة الأصغر على بعض الروافد الثّانوية، أدّت هذه الأفعال إلى انخفاض معدّل تدفّق النّهر إلى نحو ١٠٪ من حجمه الأصلي. وساهم استخدام النهر في إغراق الصّرف الزراعي في تحويل النهر المقدّس عند المسيحيين إلى مجار فمياهه لم تعد نافعة **صالحة** حتى في أغراض زراعيّة.

حدث كل هذا على الرّغم من اعتراضات الدول العربيّة والمجتمع الدّولي القويّة، وكان الفتيلة التي أشعلت شرارة حرب سنة ١٩٦٧. وكان لهذا العمل العديد من النتائج على المدى البعيد. ففي الوقت الحالي، ينخفض مستوى البحر الميّت بسرعة كبيرة بحيث يقلّ أكثر من ١٠ أمتار عن معدّله الطّبيعي. ويُعتبر الحوض الجنوبيّ للبحر الميّت شبه جاف. وتجري حاليّاً مناقشة مشروع لبناء قناة **تصل البحر الأحمر بالبحر الميت** لإعادة مستوى البحر الميّت إلى عمقه العادي ولإنتاج الكهرباء **وتحلية المياه**، وتُقدّر كلفة هذا المشروع بعدة بلايين من الدولارات.

ونتيجة أخرى لاستعمال إسرائيل غير القانوني للمياه هي أنّ مستوى بحيرة طبرية قد **ارتفع** وغطّى **بعض** الأرض السّورية محدثاً خلافاً جديداً على الحدود. ذلك أنّ الحدود الأصليّة بين سورية وفلسطين قد رُسّمت على شواطئ بحيرة طبريّا **وما لبث**

أن تغيرت بسبب الارتفاع. وفي الوقت نفسه أملحت الأراضي الزراعية المستصلحة التي كانت في السابق بحيرة **الحولة** وأهوارها، وهناك اليوم حديثٌ جديّ عن محاولة إعادتها قدر المستطاع إلى حالتها الأصليّة.

بعد حرب سنة ١٩٦٧ احتلت إسرائيل مرتفعات الجولان السورية واستولت عليها. ولعلّ السّبب الرئيسي لهذا هو السيطرة على الينابيع الرئيسيّة لنهر الأردن وتجنّب أيّ إمكانية لتحويلها.

٥. أنهار لبنان وسورية

بخلاف البلدان الشّرق أوسطيّة الأخرى، تقع منابع جميع أنهار لبنان المهمّة داخل حدوده، وهو لا يحتاج إلى المزيد من المياه. وقد أحرز الليطاني، وهو أحد أنهار لبنان، أهميّة سياسيّة نتيجة اعتداءات إسرائيل المتكرّرة على مياهه خصوصاً خلال احتلال إسرائيل لجنوب لبنان في العام ١٩٨٢، وقد استمر هذا الاحتلال ثماني عشرة سنة. ويقع المنبع الرئيسي لنهر العاصي قرب بعلبك في لبنان. ثم يتدفّق شمالاً عبر سورية ليصل أخيراً إلى البحر المتوسّط بالقرب من أنطاكية. وقد بنى السوريّون السّدود عليه فجفّفوا المستنقعات في بحيرتي حمص والغاب وحوّلوها إلى أراض زراعيّة.

وبما أنّ معظم مصادر مياه الفرات الذي **يمّر عبر** سورية تأتي من تركيا، تبقى مشكلة المياه السوريّة هي أكثر تعقيداً. فبسبب مياه نهر الفرات، حدثت تصعيدات خطيرة بين تركيّا وسورية عندما **هددت تركيا بإنشاء سدود على مصادره** مما زاد احتمال حدوث أعمال عسكريّة واسعة النّطاق.

ب. مشكلة المياه العربيّة ـ الإسرائيليّة

كعدد من قضايا المنطقة الأخرى، تُعتبر المياه مشكلة أساسيّة تزيد الصّراع بين إسرائيل وفلسطين وكذلك بين العرب الآخرين المجاورين. إنّ حق الشّعب الفلسطيني في تقرير مصيره هو مبدأ ثابت في القانون الدولي. وكنتيجة طبيعية، يجب أن يتمتع الشّعب الفلسطيني بالسّيادة على موارده الطبيعيّة بما فيها المياه، وبالتالي يحقّ للفلسطينيين أن يسيطروا على حصّتهم من مصادر المياه الواقعة داخل حدودهم ويستخدموها.

ومع ذلك، لا تتفق الأسباب الفعلية للمشكلة مع المبادئ المذكورة أعلاه:

١ - تصل نسبة استهلاك الفرد للمياه في اليوم الواحد في إسرائيل إلى ٣٥٠ لتراً بينما يستخدم الفلسطيني العادي ٧٠ لتراً فقط في اليوم.

حدّدت الوكالة الأميركيّة للتنميّة الدوليّة ومنظمة الصحّة العالميّة الحد الأدنى لمستوى الاستهلاك الأساسي للمياه بمائة لتر للشخص الواحد يومياً.

٢ - تذهب أكثر من ٨٠٪ من مستخرجات المياه الجوفيّة التي تقع تحت الضفّة العربيّة الغربيّة إلى إسرائيل أو إلى المستعمرات الإسرائيليّة.

٣ - يحقّ لغزّة كمية مياه تفوق ما تحصل عليه. ولكن عمد الإسرائيليّون إلى تحويل المياه التي تتدفّق إلى قطاع غزة وحفروا

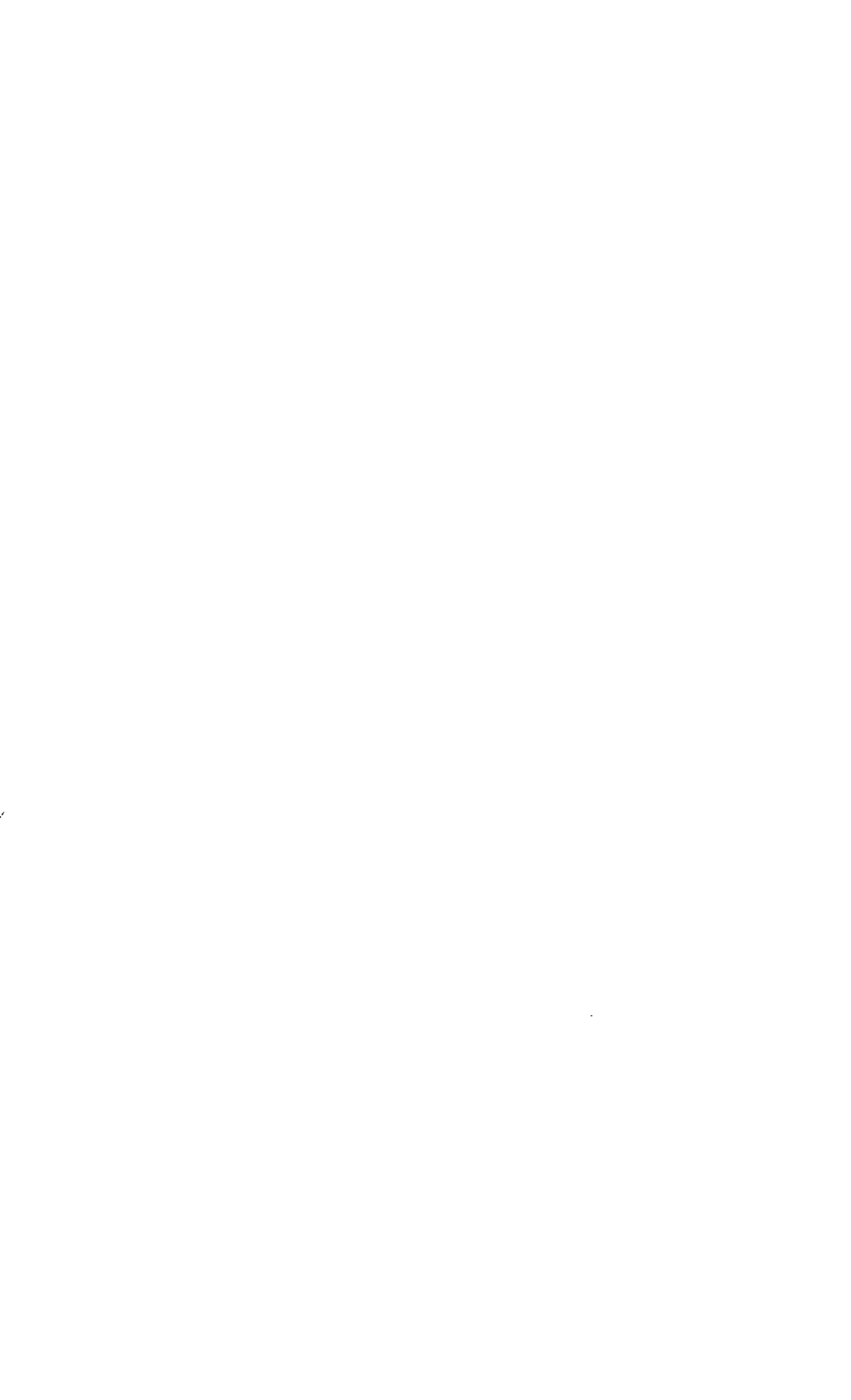
الآبار العميقة فحرموا حوالي مليون شخص من منابع مياهم المشروعة.

٤ - منذ احتلال العام ١٩٦٧، نظّمت إسرائيل **أساليب** لتدمير البنية التحتيّة للمياه الفلسطينية وأعاقت الفلسطينيين عن حفر آبار جديدة ومنعتهم من إجراء التصليحات في الأنابيب والصهاريج والمعدّات المائيّة الأخرى التي تضرّرت خلال الصراع.

٥ - يُجبر الفلسطينيون على استعمال مياه الشاحنات الأكثر غلاءً والتي يصل سعر المتر المكعب منها إلى أربعة دولارات والتي حوصرت أو توقّفت بسبب سياسة الإغلاق وحظر التّجول التي فرضها الإسرائيليون في المدن الفلسطينية منذ الانتفاضة الثانية.

٦ - في صيف العام ٢٠٠٢، بدأت إسرائيل بإنشاء جدار «الأمان» على طول الضفّة الغربية، بحيث تتم مصادرة ١٠٪ من أراضي الضفّة الغربيّة، ويمنع الجدار أيضاً نحو ٣٠ بئراً رئيسية للمياه الجوفية من الوصول إلى المجتمعات الفلسطينية.

ولذلك فإنّ من المهمّ أن تُحلّ هذه المشكلة على أساس المعايير القانونيّة الدّولية. **فذلك يؤمن** حلاً عادلاً ومنصفاً وأساساً متيناً للتّنمية الاجتماعية والاقتصادية لدولة فلسطين، وسوف يخدم المصالح الطويلة الأمد لطرفي النزاع. ولطالما كان النّزاع العربيّ الإسرائيليّ حسّاساً للوضع في فلسطين؛ فمنّ المتوقع ازدياد خطورة مسألة المياه مع ازدياد الكثافة السكانيّة وتضاؤل نسبة نصيب الفرد من المياه.



٢

الشعب العربي

أ ـ اعتبارات عامة

يُعتبر الشّرق الأوسط اليوم إحدى الرقع الأسخن في العالم وفي عناوين الأخبار اليوميّة. لكن في الوقت ذاته، ليس هناك من شعب يُساء فهمه أكثر من الشعب العربي نظراً لمشاعر الإعلام المسيحي المحافظ والصهيونية اليهوديّة المضاد للعرب والذي يزيده تورط بعض العرب بالهجمات الإرهابيّة على الولايات المتحدة في ١١ أيلول من العام ٢٠٠١.

لقد عاش العرب داخل شبه الجزيرة العربيّة وحولها لحوالي ثلاثة الآف سنة يقابلها ألف وخمسمائة سنة قبل الإسلام حيث انتشروا في كل من سورية الكبرى وجنوب العراق. في ذلك الوقت انتمى الناس إلى معتقدات مختلفة كالوثنيّة واليهوديّة والزرادشتيّة والمسيحيّة. وقبل تأسيس دولة إسرائيل، اعتبر أكثر اليهود الأُصليّين في العالم العربي أنفسهم عرباً وساهموا في الثّقافة العربيّة بشكل جديّ ليس فقط في مجالي الطب والمهن بل في الأدب العربي

أيضاً، واستمروا في ذلك حتى تأسيس الدّولة الإسرائيليّة. فكان السموأل يهودياً وهو شاعرٌ عربيٌّ معروفٌ من قبل الإسلام. وساهم العرب المسيحيون في الثقافة العربيّة قبل الإسلام واستمروا بالقيام بذلك بشكل لافت. فقبل الإسلام، كانت هناك قبائل الجزيرة العربيّة الغسّانيّة التي ينحدر منها العرب المسيحيّون الأرثوذكسيون.

ليس العرب متجانسين عرقياً بل هم مزيجٌ من جميع الناس الذين يعيشون في الشّرق الأوسط بمن فيهم عدد من العبيد المحرّرين ومستوطنون من حوض البحر الأبيض المتوسط أو أيّ مكان آخر. وفي الأدب العربي الكلاسيكيّ، تمّ تصنيف العرب في المصادر العربيّة التقليديّة كمتحدّرين من ثلاثة مصادر هي: العرب البائدة، والعرب العاربة (القبائل الجنوبيّة)، والعرب المستعربة (القبائل الشماليّة). وتعتبر هذه التقسيمات أحلافاً سياسيّةً متغيرةً أكثر منها أنساباً فعليّة. وقد استمر استعمال هذه التقسيمات في القرن العشرين كقيس (الشمال) واليمن (الغرب) (الجنوب). ولكن قلّ إستعمالها في هذه الأيام.

اللغة العربيّة هي واحدة من أقدم اللغات المستعملة في العالم، وما تزال اللّغة العربيّة الفصحى مفهومة لكلّ المتكلمين العرب. وقد طرأ تغيير بسيط على اللغة العربية المكتوبة في السّنوات الخمسين الأخيرة ولكن يستطيع أيّ تلميذ في الصفوف الثانويّة أو حتى التمهيديّة أن يقرأ ويستمتع بقصيدة كُتبت منذ ١٥٠٠ سنة مضت. وعلى نحو مماثل، لا يواجه الراشدون الذين قد يكونون أميين أي مشكلة في فهم اللغة العربيّة المكتوبة حين تقرأ لهم. وهذا ما يتباين كثيراً مع اللغة الإنكليزيّة التي لا يستطيع أحد غير المختصين في المجال أن يفهموا كلياً ما قد كتب في الإنكليزيّة

منذ مئة سنة قبل الكتاب المقدّس في القرن السادس عشر والمسمى باسم الملك جيمس.

وكما حافظ كتاب الملك جيمس المقدّس على اللغة الإنكليزية، فقد حافظ القرآن على اللّغة العربيّة ما عدا التغييرات الطفيفة التي طرأت عليها خلال خمسة عشر قرناً. وعلى الرغم من تطوّر اللغة العربيّة المنطوقة أو العاميّة بشكل مختلف في مجالات متنوعة في العالم العربيّ، فقد كفلت اللّغة العربيّة والحضارة المتّصلة بها صيانة العلاقات الثقافية الوثيقة بين الأمم العربية. فيعتبر عربياً كل من يساهم في إغناء الفهم والتواصل باللغة العربيّة، وبذلك يتعرف إلى الحضارة الهائلة التي تتصل بها.

صورة العرب في الغرب

مرّت صورة العرب في الغرب بمراحل عدّة (الفصل الرابع). تتصل عادةً صورة العرب الحالية التي يتخيّلها العقل الغربي بجزء صغير من العرب أي العرب الرّحالة أو البدو الذين يعيشون في الخيم في الصحراء ويلبسون العباءة، وهي رداء فضفاض طويل يلبسه الرجال والنساء، والعقال، وهي عصبة يضعها الرجل كغطاء للرأس والحطة. تتفرّع كلمة بدوي من الكلمة العربيّة **بادية** التي تعني منطقة يسود فيها رعي الحيوانات كأسلوب العيش الرّئيسي. ويُعرف هؤلاء الناس بكونهم أقوياء لأنّهم يعيشون في ظروف مناخية قاسية. ويُضرب المثل في كرمهم، حيث على الرغم من فقرهم فهم يعرضون على ضيوفهم كلّ الطّعام الذي يمتلكونه. وفي الواقع، هذا الكرم الجدير بالذّكر هو أساس المثل المعروف القائل **كرم الضّيافة العربيّة**. يعيش البدو في الخيم ويتخذون من البلح والحليب قوتهم اليومي. وفي الحاضر، لا يتجاوز عدد البدو

الذين يعيشون على هذا النمط نسبة ٢٪ من مجمل الكثافة السكانيّة في العالم العربي. وحتى أكثرية أولئك الذين ما زالوا يعيشون في الخيم بشكل موسمي، يتّبعون هذا النمط فقط حين يخرجون من قراهم ليرعوا ماشيتهم. في عصرنا هذا، يعيش أناس كثر في الخيم نتيجةً للكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل أو نتيجةً للكوارث البشرية، كتلك التي نراها في منطقة دارفور في جنوب غرب السودان حيث أجبرت الميليشيا العربيّة السّكان المحليين على المغادرة، أو كمئات العائلات العربية في قطاع غزة حيث أزالت إسرائيل بيوتهم. فالرئيس الليبي العقيد معمّر القذافي هو الشخص العربي غير البدوي الوحيد الذي ما زال يعيش في خيمة. ومن المثير للاهتمام أن نشير الى أنّه حتى قبل حلول الإسلام كان البدو يشكّلون شريحة ثانوية فقط من السّكان العرب.

في الماضي، طوّر العرب استخدام الجمل على نطاق واسع نظراً لكونه أكثر وسائل نقل البضائع اقتصاداً. يستطيع جملان أن ينقلا حمولة عربة يجرّها ثوران وأن يقطعا ضعفي المسافة في يوم واحد. بالإضافة إلى ذلك، لا تحتاج الجمال إلى طرقات ممهّدة، وتستطيع أن تعبر الأنهار بين الصين والمغرب ما عدا أنهار دجلة والفرات والنيل. ولا تحتاج الجمال إلى علف خاص كالذي تحتاج له الثيران، أو الى الإصلاحات الضروريّة للعربات. يستطيع ثلاثة رجال أن يقودوا قطاراً مؤلّفاً من عشرين جملاً بينما يحتاج ما يساوي عشر عربات إلى أكثر من دزينة رجال. تقدّم يوسف الشيراوي بنظريّة تنصّ على أنّ نظام النقل، الذي كان يرتكز على استخدام الجمال وعلى الإبحار بعكس الرياح، هو علامة فارقة في الحضارة العربيّة. قام العرب بتطوير الإبحار في الخليج واختراع

الشّراع المثلّث الذي انتقل الى البحر الأبيض المتوسّط ومنه إلى أوروبا. وفي عصرنا هذا، تُستخدم الجمال في المقام الأول لأسباب فلكلورية في جميع البلدان العربيّة ما عدا مناطق نائية معيّنة في السودان وشبه الجزيرة العربيّة. لقد قاد استعمال الجمال كوسيلة النقل البرّي الأكثر اقتصاداً إلى تغييرات عديدة في جغرافية المنطقة، فاندثرت الطرقات الرومانية. كما تطورت العديد من المدن العربية إلى الأزقة الضيقة التي تسمح بمرور الجمال وليس العربات، وهي بالتوائها أكثر ملاءمة للدفاع وللطقس الحار. وكذلك تطورت المدن الكبيرة لإمكانيات الجمال في تمدينها أكثر من العربات.

وعلى مرّ السنوات وتحديداً مع أوائل القرن العشرين، حين أصبح العالم العربيّ أكثر سحراً للغرب مع اكتشاف البترول فيه، خضعت صورة العرب لتغيرات نتيجة لمساعي بعض الإعلان الأميركي والغربي المتواصلة ولربّما المتعمّدة لتلطيخ صورة العرب. كانت تجارة أفلام هوليوود فعّالة جداً في ترويج هذه الصورة البشعة عن العرب. وتعطي نظرة موجزة على كتاب جاك شاهين **عرب سيئون حقيقيون** القارئ حقائق مدروسة بإتقان ومقنعة، وتُظهر جهود تجارة الأفلام المتكرّرة لتأكيد صفات العربي الوضيعة. هناك كاريكاتور في الأفلام والصحافة أيضاً، يظهر فيه رجل عربي ملتح في منتصف عمره وهو يفتح باب سيارته المطلية بالذهب ويرمي المال إلى مجموعة من الفتيات اللّواتي يلبسن التّنانير القصيرة. ويُوصَف العربيّ أيضاً كرجل خطير وشرير يلبس العباءة ومهووس باختطاف الطيارات وتفجير المباني العامة. ومن بين مئات الألقاب التي أُطلقت على العرب في هذه الأفلام تعتبر ألقاب الغرباء والحيوانات والقردة والسفّاكين والبّربريين من ألطفها. أصبحت

هذه الصورة المتكرّرة والأسطوريّة تقريباً مرسّخة في أذهان الناس الذين أصبحوا غير قادرين على التمييز بين أقليّة ضئيلة من الناس الذين قد تنطبق عليهم هذه الصورة وبين السّلالة العرقيّة من حيث تتحدّر هذه الأقليّة. ومن هنا، يبدأ الاتّجاه العام السّائد في الغرب إلى التّصديق فعلاً بأنّه إذا كان بعض العرب مجرمين متعصبين فجميع العرب متعصبون أيضاً.

من هم العرب الحقيقيون إذاً؟ من هم الثلاث مائة وسبعة ملايين عربي الذين يعيشون في العالم العربيّ والملايين العديدة التي تعيش في الولايات المتّحدة وجنوب أميركا وأستراليا وأوروبا؟ ستوضح مراجعة تاريخيّة ملخصّة صورة العرب في التاريخ.

كان العالم العربي منذ بداية التاريخ وما زال حتى اليوم كوزموبوليتانياً. فهو مفترق طرق للعالم القديم الذي أغنته إسهامات حضارات متعدّدة من يونانيين ورومان وفرس وأتراك وهنود وصينّيين وأميركيّين شماليّين. وبينما يلبس بعض العرب بشكل مختلف عن الغربيّين كارتدائهم الأثواب البيضاء الطويلة وأغطية الرأس في السعوديّة والخليج العربي خاصّة، لا يحطّ هذا من قَدرهم حيث إنّه قد يطالعنا أطبّاء ومهندسون ومربّون وكتّاب وفلاسفة أو حتى رواد فضاء بارزون بلباس عربي. لكن أكثريّة الناس في العالم العربي يرتدون ثياباً غربيّة. وبالإضافة إلى هذا، فإنّ معظم العرب ليسوا أغنياء ويمتطي القليل منهم الجمال ولم ير سوى القليل منهم بئر بترول في أي وقت مضى.

إنّ العرب قبليون إلى حد كبير. فهم يملكون روابط عائلية قويّة تمتد إلى خد ما إلى ما وراء العائلة النوويّة وإلى العشيرة والقبيلة الأصلية من حيث يستمدّون الاحترام. يتمسّك العرب بنسبهم

الذي يمكن أن يرجع، بل هو يرجع فعلياً، إلى عقود مضت ويفخرون به.

لا يسلّم العرب المسيحيون بالإسلام ديناً لهم ولكنّهم يعتبرونه جزءاً مهماً من حضارتهم وذلك بدءاً بشعراء ما قبل الإسلام وصولاً إلى جبران خليل جبران ومئات المفكرين والكتّاب المسيحيين العرب الحديثين. وقد أظهر اللبنانيون وخاصة الرهبان المسيحيون شغفاً باللغة العربيّة بدأ في القرن السابع عشر. ونتيجة لهذا الشغف كان المسيحيون اللبنانيون أوّل من نشر الصحف والمجلات العلميّة في القرن التاسع عشر بعد استقدام آلة الطباعة إلى الشّرق الأوسط. وفي أوائل القرن العشرين كان جبران خليل جبران، وهو أحد أكثر كتّاب اللغتين الإنكليزيّة والعربيّة شهرة، عربياً مسيحياً. وجبران هو شاعرٌ وفيلسوفٌ لبنانيّ أميركيّ وكاتب كتاب **النبي** الذي يتناول المسيح والذي يقع موضع إعجاب في الولايات الأميركيّة المتّحدة وفي العالم العربي.

ب- الخصائص العربيّة

إنّه لمن الخطر الدّائم أن نعمّم عن شخصية أي شعب. ولذلك يجب أن نتناول أكثر ما نقوله بتحفظ. هذه هي الحالة بصورة خاصّة حين لا تُبنى مثل هذه التّصاريح على تحليلٍ إحصائي إلا نادراً أو حين نفتقر إلى معيار لشعب آخر نستند إليه للمقارنة. وفي أفضل الأحوال، يمكن اعتبار هذه التعميمات بمثابة انطباعات عامّة غير موثّقة. فعلى سبيل المثال هناك رأيان متعارضان في البلدان الغربيّة عن العرب. يرى الرأي الأول الشّجاعة الجسديّة والكرم وحسن الضّيافة كميّزات العرب الرئيسيّة. وفي المقابل

يصف الرأي الثاني العرب بالبخلاء والجبناء. ومع ذلك، فغالباً ما يعبر العرب والغربيون عن النقاط التالية:

١ - إنّ الكياسة والكرامة هما صفتان عربيتان. وعلى الرغم من أنّ هاتين الصفتين يمكن أن تكونا من الصفات الطقوسية، فهما تضفيان بهجة أكثر على الحياة. ويتحلّى جميع العرب بهذه الصفات، الفقراء والأغنياء، والحضر والبدو.

٢ - يُظهر العرب عادةً حسن ضيافةٍ وكرمٍ للآخرين، جيراناً كانوا أو غرباءً. فكرم الإنسان هو أحد أكثر الصّفات مدعاة لتقديره. وكثيراً ما يترك هذا الكرم انطباعاً قويّاً لدى الغرباء وعلى الأخص حين يَصدر عن أناس فقراء يلتقون بهم. ويعود أصل هذه الصفة على الأرجح إلى أدب الصحراء حيث حياة الغريب قد تكون رهناً للمعاملة التي ينالها من الناس الذين قد يلتقي بهم.

٣ - تكتسب أهميّة الإنسان في العالم العربي قيمةً أكبر إذا أضيف إليها صفة تكمّل إنسانيته كالغنى أو المركز المرموق أو الصّلة بزعيم ديني أو سياسي أو ميليشياوي أو قبلي.

٤ - وفي الإجمال، يُعتبر العرب محافظين على كلّ ما هو قديم وهذا ما تُظهره مقاومتهم التّغيير في المجالات التّربويّة والإداريّة والصحيّة.

٥ - لم ينجح العرب في تأليف أحزاب سياسيّة أو مشاريع تجارية قويّة. وفي معظم البلدان العربية تكون هذه المساعي مرتكزة على نشاط فردي. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ نتائج العلاقات العربيّة المتبادلة بالغة الفشل. ويمكن اتخاذ جامعة الدول العربيّة التي تبلغ

الآن الستين من العمر كمثال على هذه الحقيقة بعد أن فشلت في تحقيق أيّ تعاونٍ حقيقي في المجالات السياسيّة والاقتصاديّة والماديّة والتربويّة. وفي المقابل، على الرغم من أنّ الاتّحاد الأوروبي أصغر سناً وأنّ دُوله قد خاضت فيما بينها حروباً مرّات عدّة في االقرنين الماضيين، فقد أحرز الوحدة النّقدية لأعضاء متعدّدة فيه، بالإضافة إلى وضع دستور موحّد يتم الاتفاق والتّصديق عليه في المستقبل القريب من قبل جميع الدول الخمس والعشرين.

٦ - إنّ الحب الصادق والاحترام الذي يكنّه العرب لمن هم أكبر سناً هو إحدى خصائصهم المميّزة والتي من المؤكد أنّه يصعب إيجاد مثيلها في أماكن أخرى. فبيت الأجداد في المجتمعات العربيّة هو بيت الجد وأولاده وأحفاده. وعلى الأرجح أنّ المسنّ في العالم العربي هو أكثر سعادة وأقل تهميشاً منه في المجتمعات الغربيّة. يعامل المسنّ كشخصية رئيسيّة في بيته مهما بلغت درجة فقره وهذا ما يميّزه عن المسنّين في البلدان الأخرى الذين يُرسلون إلى بيوت العجزة التي تحتوي على جميع التسهيلات الحديثة ولكن تفتقر إلى لمسة المحبة العائلية.

٧ - يمكن اعتبار العائلة العربيّة الموسّعة امتداداً إلى ابن العم الثاني والثالث، كوحدة تعيل جميع أعضاء العائلة المحتاجين للدعم، مادياً كان أو معنوياً. يشعر جميع أفراد الأسرة بالفخر لإنجازات الأعضاء الآخرين وبالخزي لسوء سلوكهم.

هذا هو نوع الدعم الذي يندر وجوده في الغرب والذي أخذ يضْعُف في العالم العربي نتيجة للتحضر وتحت التأثير الغربي.

٨ - يكنّ العرب مشاعر قويةً للجيران وزملائهم الرجال والنساء. ويتشارك الجيران مشاكلهم الطبيّة والنفسيّة والماديّة أو أي مشاكل أخرى. تمنح هذه المشاركة دعماً نفسياً مهماً وتُعتبر عنصراً أساسياً لتمكينهم من الصمود في وجه الظروف المعاكسة. إنّ مقاومة الشّعب اللبناني الناجحة خلال سنوات العداء الخمس عشرة ومحاولات تقسيمهم خلال الحرب الأهلية وموقف الشعب الفلسطيني الصلب ضد أعمال الجيش الإسرائيلي الوحشيّة هي أمثلة جيدة على خاصيّة العرب هذه.

٩ - يعاني الشّباب العربيّ من الشّعور بعدم الأمان بشأن المستقبل. وقد ازداد هذا الشعور خلال العقود القليلة الأخيرة وخاصة بعد هزائم العرب المستمرّة في الميادين العسكريّة والاقتصاديّة مع إسرائيل مقترنة بالعديد من العداوات بين الدّول العربيّة. أدّت هذه الأسباب إلى الهجرة الجماعيّة وإلى هجرة العقول الشابّة من البلدان العربيّة إلى أوروبا والولايات المتحدة والغرب وأفريقيا وجنوب أميركا وكندا وأستراليا وإلى بلاد عربيّة غنيّة بالبترول.

التّسامح العربيّ

في التراث العربي قدر كبير من التسامح، ولكننا نجد الآن أن الكثير من هذا التسامح قد زال. لقد زال بعضه لأسباب سياسية، فحوادث لبنان ١٩٥٨، قامت عندما تمرد المسلمون على الحكم الماروني مثلاً، وكانت الشرارة التي أطلقت هذا التمرد اغتيال صحافي مسيحي، ويرجع زوال بعضه إلى الانفلات عند حصول زلزال حكومي كما حدث عند غزو العراق فتطورت حروب بين

السنة والشيعة وبين الأكراد والتركمان والعرب وبين المسلمين والمسيحيين بشكل لم يعرف من قبل، فخطف مطران وقتله هو الأول في التاريخ العربي والإسلامي ولا شك في أن بعض عدم التسامح تغذيه مصالح أجنبية.

تاريخياً، إنّ أفضل مثال على التسامح هو الاحتلال العربي لإسبانيا الذي بدأ في القرن الثامن. ففي أقل من خمسين عاماً، كانت إسبانيا مقراً للخلافة الإسلاميّة المستقلة. وقد ميّزت نسبة السكان المسيحيّة واليهوديّة الكبيرة إسبانيا وهذا ما جعل من قدرتها على التحلّي بالصبر دعامة أساسية للسياسة. فقد شقّ الناس من مختلف الأديان طريقهم في جميع مجالات الحياة. فكان هناك مسؤولون حكوميون وفلاحون ومزارعون وحرفيون وتجّار من كل الطوائف. وعُرف بعض اليهود بإتقانهم اللّغات وهذا ما جعل منهم الخيار الأفضل لغايات الاتصال الدّولي مع الدول المسيحيّة. وكنتيجة لذلك، كان تأثير العديد من اليهود عظيماً في شؤون الدولة. فهادساي ابن شربوطة هو مثالٌ جيد على هذا التأثير لأنّه الطبيب الذي تم تعيينه فيما بعد طبيباً في المحكمة. فمن خلال إتقانه اللّغة اللاتينيّة (التي عرُفت بلغة الدبلوماسيّة في ذلك الوقت) أصبح هادساي صديق الخليفة المفضّل ومستشاره، بل وفي الحقيقة فقد أصبح وزيره للشؤون الخارجية.

وفي الحاضر، نجد عدداً كبيراً من المجتمعات الإثنيّة في العالم العربي الذين يحافظون على تقاليدهم ومع ذلك يعتبرون أنفسهم ويعتبرهم الآخرون عرباً. فالأكراد والشركس والشيشان في الأردن بالإضافة الى الأرمن هي أمثلة على هذه المجتمعات.

والأرمن هم مثالٌ مثيرٌ للاهتمام؛ فقد استقرت مجموعات أرمنية

صغيرة متعددة في المنطقة قبل الحرب العالميّة الأولى حين تدفّق إلى سورية ولبنان وفلسطين عددٌ كبير من اللاجئين الأرمن الهاربين من اضطهاد الأتراك. ولم يمض وقتٌ طويلٌ حتى تمّ الاعتراف بهم ودمجهم في المجتمع ولكنّهم حافظوا على تراثهم الخاص بل وطوروه. يتحدث أرمن اليوم ويقرأون ويكتبون باللّغة العربية كجميع العرب الآخرين. كما أنّهم طوّروا لغتهم الأرمنيّة من لغةٍ كنسيّة إلى لغةٍ حديثة.

التّسامح الديني

ومع أنّ غالبيّة العرب هم من الدين الإسلامي، فقد نجت أديان أخرى وانتشرت في العالم العربي مع بداية الفتح الإسلامي منذ أكثر من ١٤٠٠ عام.

ويحتوي كتاب الشحرستاني كتاب **الملل والنحل** الذي كتب باللغة العربيّة في القرن الثاني عشر وصفاً دقيقاً لأكثر من تسعين طائفة مسلمة وثلاثين ديناً غير مسلم كان هو على اطلاع عليها. صمد هذا التّنوع الغنيّ من الأقليّات الدينيّة لقرون من الحكم الإسلامي ولكن انعدم وجوده خارج العالم العربي.

التّسامح العنصري

إنّ موقف الإسلام من العبيد هو مثال مذهل على التّسامح العنصري. لقد حصل العرب على عدد كبير من العبيد من أفريقيا وأوروبا الجنوبية. ولم يلغ الرّق كلياً إلّا في وقت مبكر من القرن العشرين، وعلى عكس ما حدث في الولايات المتحدة، اندمج

العبيد المحرّرون بالعائلات العربيّة بشكل كامل. ولطالما كان تقليداً عربياً أن يحصل العبد المعتوق على اسم العائلة بل وأن يُصبح فرداً منها أيضاً، ابن عم إذا صح التعبير. ويصبح لأولاد العبيد المعتوقين كامل حق العضوية في الأسرة. ويصنّف القرآن الكريم عتق العبيد كأحد أتقى الأعمال التي باستطاعة المرء القيام بها.

جـ - السكان العرب

يواجه العالم العربي مشكلة رئيسيّة وهي الازدياد السّريع في عدد السكان. فمنذ أوائل القرن الماضي، كان عدد العرب يتضاعف كل عشرين إلى ثلاثين سنة. لكن ولحسن الحظ تتباطأ هذه الزيادة في معظم البلدان العربية حالياً.

يضع هذا الازدياد السّريع ضغطاً كبيراً على المياه والموارد الطبيعيّة والبنيّة التحتيّة. فالعالم العربي بأكمله هو مستورد للطعام وخاصة للحبوب. ويتعرض قطاعا التربية والخدمات لضغطٍ هائلٍ مما يؤدي إلى خسارة في الجودة المطلوبة فيها.

تشير دلائل إيجابية في بعض الدول إلى تباطؤ النمو السّكاني. ففي أواخر العشرينيات، ارتفعت سنّ الزواج الأول للمرأة في الأردن (وهي دولة عربية نموذجية). وهذا ما قد أدى إلى انخفاض معدل الخصوبة من ٧,٣ في عام ١٩٧٦ إلى ٣,٥ في عام ٢٠٠٤. وتكمن الأسباب خلف هذا في أنّ النساء يحصلن على مزيدٍ من التّعليم وأنّ الكثير من الأزواج يجدون ذلك من الضروريّ لتوفير العمل للزوجات وبالتالي لتأمين مستوى معيشي لائق.

وقد ساعد عامل آخر على تحسين الوضع وهو هجرة العرب الشرق أوسطيين وخاصة الشباب منهم إلى بلدان غربيّة وإلى الخليج العربي.

د. النّساء العربيات

يمكن تعريف الديموقراطية بأنّها حكم الشعب أو قوّته. واستناداً إلى هذا التعريف، من الصعب تصنيف أيّ من بلدان العالم كديموقراطية لأنّ معظم صنّاع القرار في جميع مجالات الحياة هم في الغالب من الرجال وليسوا النّساء. لكن ما هو صحيح أيضاً هو أنّ بعض الدول هي أقلّ ديموقراطية من غيرها. وضمن هذا التصنيف سيقع العالم العربي بين دول العالم الأقل ديموقراطيّة.

وهذا لا يعني وجود قاعدة عامّة أو تقليد يقضي ضمناً بأنّ النّساء العربيات تابعات للرجال. ففي كثير من الأحيان تسود إرادة المرأة أو الزوجة أو الأم في معظم العائلات العربيّة التقليديّة.

ويلخّص تقرير الأمم المتحدة الوضع الحالي للمرأة العربيّة بشكلٍ كافٍ ينص على أنّه:

قياساً بمؤشرات مختلفة، فقد كانت هناك مكاسب مهمّة في مجالي الصّحة والتربية بما فيها متوسط العمر المتوقّع وصحّة الأم ومعدّلات الخصوبة والأميّة والتحصيل العلمي. لكن وعلى الرغم من هذه المكاسب، تستمر النّساء العربيات بالتّواني خلف رجالٍ ونساءٍ عرب في بلدان متطورة أخرى وخاصّة من حيث التمكين الاقتصادي والسياسي.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٧٧).

ويعتبر عتق عبد عملاً من أعمال الإحسان أيضاً في السّورة ٣ الآية ٩٠ والسّورة ٩ الآية ٦٠ والسّورة ٤ الآية ٩٢ والسّورة ٥ الآية ٨٩ والسّورة ٩٠ الآية ١٣.

وبما أنّ العالم العربي هو مهد الديانات السّماوية الثلاث، وخاصّة الشرق الأوسط، يجب أن يتضمن أي نقاش بشأن المرأة في العالم العربي ما ذكرته هذه الأديان الثلاثة في ما يتعلق بالنساء ثم مقارنة تعاليمهم بما يمارس في الوقت الحاضر. تتّفق الأديان الثلاثة على حقيقة جوهريّة واحدة وهي أنّ الله قد خلق الرجل والمرأة. تبدأ الخلافات بعد خلق آدم وحواء. يوجد التصور اليهودي المسيحي المفصّل لخلق آدم وحواء في سفر التكوين ٢:٤ ـ ٣:٢٤. قال الله لحواء، «**سوف أزيد من آلامك عند الإنجاب إلى حد كبير؛ وستنجبين أطفالك بألم. وسوف تكون رغبتك لزوجك وسيكون له الحكم عليك**». ويمكن ذكر العديد من الأمثلة من الإنجيل والعهد الجديد تصدق على تدنّي منزلة المرأة عن منزلة الرجل. يدعم موقف القديس بولس في العهد الجديد هذا المبدأ فيقول، «**كما في جميع أبرشيّات القديسين، ينبغي أن تظلّ النّساء صامتة في الكنائس**». كورنثياس ١٤: ٣٤ ـ ٣٥.

حسب ما أشارت إليه أقوال الكتاب المقدّس المأثورة، إنّ موقف الإسلام من النساء هو أكثر إحساناً لها وفي أغلب الأوقات، تُعتبر النساء مساويات للرجال.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (السورة ٣٣ :الآية ٣٥)

وبما أنّ أكثريّة النّساء العرب يتبعن الدين الإسلامي فالسؤال الذي يتعيّن طرحه هو الآتي: هل يتبع النساء العرب المسلمات اللواتي يعشن في العالم العربي اليوم التعاليم كما وردت في القرآن الكريم؟ الجواب حتماً سلبي. فهناك اختلافات في المجتمعات الإسلامية التي تتفاوت من بلد إلى بلد. فبغضّ النّظر عن مستويات بعض النساء الاجتماعيّة أو الماديّة أو التربويّة، فقد اخترن المضي في اتباع سلوك محافظ وجوهري تقريباً. وضمن هذه الفئة، تتلقى النساء معاملة وفقاً لمعايير أدنى بكثير من المعايير التي تطبق على الرجال. فتلقى الأنثى ترحيباً أقل عند الولادة وتحصل على فرص تعليم أقل، كما أنّها تخضع للمراقبة المستمرة حتى لا تتصرف بشكل (معيب) بينما يستطيع أشقاؤها أن يتباهوا بمغامراتهم الجنسيّة. ولا تملك المرأة سوى رأي بسيط في العائلة والشؤون الاجتماعيّة، وحين تصبح امرأة تدعو الله أن يرزقها ذكوراً. لا يدعو الدين الإسلامي إلى هذه الأحكام بل إنه ينهى على سلوك بعضها، إذ يصف بالنص أنّ الذين يشعرون بعدم الرضا لإنجاب فتاة بقول «**ألا ساء ما يحكمون**». وقد اختارت بعض نساء العرب

أوسط الأمور فهن يشعرن بالمساواة مع الرجال ويملكن رأياً في كل الأمور ولكنهن يحافظن على درجة من الحياء في الملابس والسلوك. وأخيراً، هناك فئة صغيرة من نساء العرب المسلمات اللواتي تبنين الأسلوب الغربي في الحياة بما فيها من جوانب حسنة وسيئة.

لا يكتمل أي حديث عن نساء العرب المسلمات من دون ذكر كلمة في مسألتين مهمتين وهما: الحجاب وتعدد الزوجات.

١ - الحجاب

في الآونة الأخيرة، أصبح الحجاب موضوعاً ساخناً في الإعلام نتيجة لقرار الحكومة الفرنسية في العام ٢٠٠٤ الذي يحظر ارتداء الحجاب على التلميذات في مدارس الحكومة العامة.

ترتدي العديد من النساء المسلمات الحجاب بأسلوب معيّن. ولم يقلّ انتشار هذه الظاهرة في السنوات الأخيرة بل تزايد. وقد يراوح ارتداء الحجاب من مجرّد تغطية الرأس إلى تغطية كل شيء ما عدا الوجه واليدين أو إلى الغطاء الكامل للوجه. وتتعدّد أسباب ارتداء الحجاب. فترتديه بعضهن بناءً على نصيحة بعض الزعماء الدينيين وترتديه نساء أخريات تأكيداً للهويّة الإسلاميّة وخاصّة في الغرب؛ كبعض المسيحيين الذين يرتدون صليباً بارزاً. وترتدي العديد من النساء الحجاب لأنّه أوفر فلا يحتاج إلى عناية أكثر بالشعر ولا يستلزم ارتداء ثوب عصري تحته. وترتديه بعضهن بناء على رغبة آبائهن أو أزواجهن بينما ترتديه أخريات ضد مشورة أزواجهن.

ذُكر حجاب المرأة مرّة واحدة في القرآن الكريم تقضي بأن تغطي النساء صدورهن بأوشحتهن. في أيام الإسلام الأولى، لم تغطّ النساء المسلمات وجوههن ولكن من المؤكّد أنّهن كن يغطّين رؤوسهن. واستناداً إلى التقليد المتعارف عليه، ينبغي للرجال المسلمين أن يغطوا رؤوسهم في العلن ما عدا في حالات الحزن الخاصّة. يفرض القرآن الكريم ارتداء الثوب المحتشم على الرجال والنساء.

وفقاً لدراسات سوسيولوجية متعددة، غالباً ما يبدو الحجاب، الذي يراه الفرنسي العادي كعلامة على إخضاع المرأة، خياراً فردياً أو إشارة إلى تحرير وعتق للمراهقات والنساء والشابات اللواتي يستطعن الحصول على إذن بالدخول إلى النقل العام والمدارس والجامعات والتوظيف والهروب من سيطرة العائلة أو حفظها إلى حد ما أيضاً. فمع الحجاب، تظهر المرأة المسلمة المعاصرة وبدونه تختفي هويتها ببساطة.

تشير مراجعة للحجاب في الأديان السّماوية الثلاثة إلى ما يأتي:

لا ترتدي معظم النّساء اليهوديات والمسيحيات الحجاب في الوقت الحاضر. ولكن يفيدنا التاريخ بأنّ غطاء الرأس كان جزءاً من التّقليد اليهوديّ المسيحيّ. وقد استمرت النّساء اليهوديات في أوروبا بارتداء الحجاب حتى القرن التاسع عشر. ويتوقع من المرأة اليهودية الأرثوذكسية أن لا تُظهر شعرها أبداً وأن تلبس الشعر المستعار.

وقد استخدمت المرأة المسيحية غطاء الرأس أيضاً. فبالإضافة إلى أنّ الراهبات يغطّين رؤوسهن فقد دافع القديسون المسيحيون عن

استعمال الحجاب. وأدلى القديس بولس في **العهد الجديد** بالتصريح التالي، «**لا حاجة للرجل أن يغطي رأسه لأنّه يعكس صورة ومجد الله. ولكنّ النساء يعكسن مجد الإنسان. فينبغي على المرأة أن تغطي رأسها لتُظهر بأنها تحت سلطة زوجها**». (كورنثيان ١١ - ٦ - ١٠).

إنّ وجود حجاب يغطي الشعر هو أساسي في الإسلام وأيّد القرآن ارتداءه كما أيّد اللباس المحتشم للرجال والنساء. وقد عُرف عن الرسول أنّه كان قد طلب من زوجاته أن يغطّين شعرهن ويلبسن الأثواب الفضفاضة حتى لا تثير مناظرهن غرائز الرجال الجنسيّة. ولم يشمل الحجاب تغطية الوجه. فقد كانت تغطية الوجه عادة فارسيّة تعود إلى العصر البيزنطي في القرن الخامس وتبنّاها العثمانيون إشارة إلى المركز الاجتماعي؛ وكان حجاب المرأة في هذه الحضارات يشير إلى انتمائها إلى الطبقة الأرستقراطيّة.

وفي الوقت الحاضر ترتدي غالبية النّساء الحجاب بدرجاته المتفاوتة التي تتراوح بين غطاء الشعر وبين غطاء الوجه الكامل مع ترك فتحتين للعينين. وقد لوحظ هذا الحجاب الأخير في بعض دول الخليج مما زاد انطباع الغرب السلبي عن تخلف الشعوب في العالم العربي. وفي البلدان العربية، يتركز ارتداء الحجاب في المدن على الأغلب ولا تغطي البدويات والفلاحات العربيات وجوههن.

تعدّد الزوجات

ما زالت بعض المجتمعات الإسلامية تمارس تعدّد الزوجات ولكن

بدرجة أقل من الماضي. ويؤمن مؤلفا الكتاب بعدم قدرة كل تبريرات ممارسة تعدد الزوجات على الإقناع. وتشمل هذه التبريرات الأغلبيّة العدديّة للنّساء والحدّ من عدد الزوجات إلى أربع والمعاملة العادلة والمتساوية لجميع الزوجات. غير أنّه من المنصف أن نذكر بأنّ تعدد الزوجات ليس من اختراع الإسلام. ففي التوراة، أن الزعماء الدينيين، بدءاً بإبراهيم، كانوا متعددي الزوجات. فقد كان للملك سليمان سبعمائة (٧٠٠) زوجة وثلاثمائة محظيّة (الملك ١.٣:١١) واتّخذ الملك داوود أيضاً أكثر بكثير من الزوجات والمحظيّات. (صموئيل ٢.٥:١٣)

ينخفض تعدّد الزّوجات بشكل سريع في أكثريّة البلدان العربيّة؛ وذلك لأسباب اقتصاديّة بالإضافة إلى موقف المجتمع ضده.

لا تحتاج الخطوات المطلوبة لتحسين وضع المرأة العربيّة المسلمة إلى تعديلات في تعاليم الإسلام الدينيّة وإنّما ينبغي التركيز على الثورة الحضاريّة والاجتماعيّة لإزالة جميع الظلم الذي يُفرض على المرأة المسلمة والذي تفاقم بعد سقوط الأمبراطورية العربيّة الإسلاميةّ وتلاشيها منذ ما يقارب ستة قرون على ولادة الإسلام في القرن السابع. ومع الارتفاع المفاجئ لنسبة المتشدّدين خلال السنوات الخمسين الأخيرة، لا يبدو التّشخيص لتحسين حالة النساء العربيّات المسلمات مشجعاً في الوقت الحالي.

هـ. هل العرب أغنياء

إنّ أكثر الصّفات المتكرّرة التي منحها العالم الغربي للعرب هي: عرب قذرون ومتعصبون وجهلة أو عرب أغنياء. ومن أسباب هذا

الرأي أنّ كثيرين من مواطني الدول الغربية يظنون أن الأقلية المستهترة التي تزور بلادهم تمثل العرب جميعاً. ويعتبر انتشار الدعاية المضادة للعرب لأسباب مختلفة سبباً آخر لهذا الرأي. لقد حاولت الفصول السابقة أن توضّح أن الصفة الأولى هي خاطئة وأن هناك أناساً قذرين ومتعصبين وجاهلين في جميع أنحاء العالم. ومرة أخرى فالصّفة الثانية، أي أنّ العرب أغنياء، هو انطباع خاطئ أيضاً. فهناك عرب أغنياء وآخرون فقراء، كما هناك أناس أغنياء وفقراء في جميع أنحاء العالم.

وعلى العموم، يجب أن تصنّف البلدان العربيّة كبلدان فقيرة. ويشبه الناتج القومي الإجمالي للدول العربيّة الإثنتين والعشرين التي تبلغ كثافة سكانها ٣٠٧ ملايين نسمة ناتج إسبانيا القومي الإجمالي حيث يبلغ عدد السّكان ٤١ مليون نسمة. ولا تُعتبر إسبانيا دولة غنيّة. ويقلّ عدد سكان الولايات المتّحدة الأميركيّة عنه في الدول العربيّة ولكنّ ناتجها القومي الإجمالي يوازي أربعة عشر ضعفاً للناتج القومي في العالم العربي بما فيه البترول.

هذا الشرح لا يعطي صورة كاملة عن الوضع القائم، إذ سيتحتم على الدول العربية غير المتقدّمة أن تنفق جزءاً كبيراً من ناتجها القومي على تطوير البنية التحتيّة للطرق والمدارس والمكتبات العامة وعلى الأنظمة التعليميّة والحكوميّة. ففي الواقع، إذا أخذنا في الحسبان الدول العربيّة الخليجيّة الغنيّة بالبترول فقط، فسنجد أنّ مجموع الناتج القومي الإجمالي لهذه الدول يُماثل ناتج سويسرا التي يبلغ عدد سكانها ثلث سكان دول الخليج. ويجب ألّا ننسى أنّ المصدر الرئيسي للدّخل في تلك البلدان هو البترول الذي يُعتبر مورداً معرّضاً للنّفاد.

ولعلّ أفضل مقياس لإمكانات العرب الماديّة هو تحديد نصيب الفرد من الدّخل العام. وهنا تبدو الثغر أكثر سطوعاً: إنّ متوسط دخل الفرد في العالم العربيّ هو أقل بـ ٧٪ منه في الولايات المتّحدة الأميركيّة. والدّخل الفردي في دول الخليج العربي الغنيّة هو أقل من نصف معدل الدّخل في إيطاليا. إنّ الإمارات العربيّة المتّحدة هي أغنى الدّول العربيّة ويبلغ معدّل سكانها نحو المليونين ويماثل معدّل دخلها الفردي دخل الفرد في إيطاليا. وفي الدّول العربيّة الأفقر، يبلغ معدّل الدّخل الفردي أقل من دولار واحد في اليوم. بينما يبلغ معدل الفقر العالمي الذي حدّدته الأمم المتحدة دولارين أو أقل في اليوم الواحد.

٣

الدين والعرب

إنّ حوالى خُمس سكان العالم **مسلمون** (١,٣ مليار). وتتضمن هذه النسبة مجموعة كبيرة من الأعراق والجنسيات والحضارات. وتبلغ نسبة العرب من مسلمي العالم ١٨٪ فقط. ويتوزّع ٣٠٧ ملايين عربي مسلم على طائفتين رئيسيتين هما السنّة والشّيعة. ويشكّل السنّة نسبة ٩٢٪ من المسلمين تقريباً بينما يُشكّل الشيعة ٨٪. وقد بدأ الانقسام في الإسلام نتيجة عداء سياسيّ على خلافة النّبي محمد بين ابن عم الرسول الإمام علي ومجموعة من الصّحابة. وبلغ العداء ذروته بعد اغتيال الإمام علي في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان في سنة ٤٠ للهجرة أي (٦٦٠م.) ودُفن في مدينة النجف في العراق. وتلا هذه الواقعة عداء بين الحسين، ابن الإمام علي، وبني أميّة في دمشق حيث اغتيل الحسين بوحشية في معركة غير متكافئة بعد أن خذله بعض أصحابه في مدينة كربلاء العراقيّة. وينقسم السنّة إلى أربع مدارس أساسيّة للقانون الإسلامي بينما ينقسم الشيعة، الذين يحترمون الإمام علي وذريّته ويعتبرونهم عائلة شريفة ذات مكانة خاصّة، إلى

ثلاثة أقسام رئيسية بناءً على من يرونه الخليفة الشرعيّ للإمام علي. وتعتبر الطائفتان الدرزيّة والعلويّة فرعين من الطائفة الشيعية. ويتأثّر الدروز بالفلسفة اليونانيّة بشكل كبير وقد ظهروا في سورية ولبنان في أوائل القرن الحادي عشر، وما زالت الطائفة الدرزيّة مهمّة وفعّالة في البلدين وفي شمال إسرائيل أيضاً. يتركّز وجود العلويين في الجبال خلف اللاذقية في سورية وهم أصحاب نفوذ قوي في الدولة والجيش.

الإسلام

الإسلام دينٌ توحيديٌّ على نحوٍ صارم يقبل جميع الأنبياء (الرئيسيين) من الدين اليهودي والمسيحي، فيرضى بإبراهيم **خليل الرحمن** وموسى **كليم الله** ويسوع **روح الله وكلمته** ومحمّد **رسوله**. لقد ذكر محمد في القرآن خمس مرات فقط مقارنة بخمس عشرة مرة ذكر فيها المسيح ومئة وستة وستين مرة لموسى وأربع وثلاثين مرة لمريم وست وتسعين مرة لإبراهيم. ويؤمن المسلمون بأنّ جميع هؤلاء الأنبياء قد نقلوا بشكلٍ أساسي رسالة التّوحيد ذاتها، فيحترمون هذه الأديان ويجلّونها. ويؤمن المسلمون أيضاً بوجود علاقة مباشرة بين الله والإنسان من دون الحاجة إلى وجود وسيط كالكهنة والأصنام. وليس هناك من كنيسة منظّمة في الإسلام. فالقادة الدينيون هم ببساطةٍ رجالٌ متعلمون يمكن للمسلم العادي أن يتقبّل تفسيراتهم للقانون الديني أو أن يرفضها. وحسب التقليد السّني فالقادة الدينيون هم موظفو الدّولة أمّا في التّقليد الشّيعي فرجال الدين هم أكثر استقلالية ويملكون بنىً منظمةً ونفوذاً أكبر.

من الاعتقادات الخاطئة في الغرب عن الإسلام أنّ هذا الدين يُنشر بواسطة السّيف. ويسود اعتقاد مشتركٌ بين غير المسلمين بأنّه لو لم يتمّ نشر الإسلام عبر استخدام القوّة لما كان له من أتباع كثر. وفي الواقع، لا يؤمن المسلمون بإجبار من هم غير مسلمين على اعتناق الإسلام. فحريّة الدين مذكورة في القرآن الكريم الذي ينصّ على أنّه ليس هناك من إكراه أو إجبار في الدين. ففي السورة ١٠٩ من القرآن الكريم، وهو الكتاب المقدّس الذي أنزله الملاك جبرائيل على النّبي محمد، ينصح الله الجنس البشري بقوله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) ولا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) ولا أَنَا عَابِدٌ ما عَبَدتم (٤) ولا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾.

حكم المسلمون إسبانيا مئات السنين ولم يستخدموا السّيف قط ليهدوا الناس إلى دينهم. كذلك، فقد حكم المسلمون العالم العربي لأكثر من ١٤٠٠ سنة، ولكن على الرغم من ذلك فهناك اليوم أكثر من ١٤ مليون عربي مسيحي قبطي. وفي الواقع، لو استخدم المسلمون السّيف حقاً لما وُجد عرب مسيحيون في مصر. وإنّه لمن الصحيح أنّ الفتوحات في القرنين السّابع والثامن قد ساعدت على نشر الإسلام في البلدان المهزومة. ويجب الإشارة هنا إلى أنّه على الرغم من أنّ قيادة الفتوحات العربيّة كانت إسلاميّة، فقد ساهمت القبائل العربيّة المسيحية بعدد كبير من المقاتلين. وعلاوة على ذلك، فقد استمر نشر الدين الإسلامي لعدّة قرون. ولا تطلب أهم تعاليم الإسلام اعتناق أهل الكتاب أي اليهود والمندائيين والسامريين والمسيحيين الدين الإسلامي لأنها

تعتبرهم مسلمين بالفعل. والمعروف أن أكثر الدول المسلمة في العالم تقع في الشرق الأقصى.

لم يفتح الإسلام هذه البلدان، ولكنّها دخلت الإسلام من خلال الجهود التي بذلها التّجار في أوقات فراغهم.

إنّ أكبر البلدان من حيث الكثافة السكانيّة الإسلامية هي إندونيسيا (١٧٠,٠٠٠,٠٠٠) وباكستان (١٣٦,٠٠٠,٠٠٠) وبنغلادش (١٠٦,٠٠٠,٠٠٠) والهند (١٠٣,٠٠٠,٠٠٠) وتركيا (٦٢,٠٠٠,٠٠٠) وإيران (٦٠,٠٠٠,٠٠٠) ومصر (٥٣,٠٠٠,٠٠٠) ونيجيريا (٤٧,٠٠٠,٠٠٠) والصين (٣٧,٠٠٠,٠٠٠). ومصر هي الدولة العربيّة الوحيدة بين هذه الدول. ويستمر اليوم عمل التّجار المسلمين في شرق أفريقيا ووسطها وهو أنجح من الجهود المنظمة التي يبذلها **المبشرون** المسيحيون الأكثر غنىً ونفوذاً.

لا يشكّل العرب ديناً. فعلى الرغم من أنّ الإسلام هو الدين المهيمن في العالم العربي، هناك عددٌ كبيرٌ من المسيحيين والأقليات الأخرى وخاصة في الدول العربيّة الشّرق أوسطيّة. ففي لبنان، يُعتبر المسيحيون جزءاً أساسياً وفعالاً في الدّولة. وفي وقت مبكّر من القرن الماضي، استقرّ في لبنان يهودٌ من سورية والعراق وتركيا واليونان بالإضافة إلى بعض العائلات ذات الأصول الفارسية. فحتى تأسيس دولة إسرائيل، عاشت مجتمعات يهوديّة ذات سلطة بسلام في معظم الدّول العربيّة. وفي عام ١٩٥٨، بلغ عدد اليهود في لبنان ذروته بوجود ١٤,٠٠٠. وفي عام ١٩٤٨، وحين أعلن قيام دولة إسرائيل، نزح اليهود عن لبنان بشكل مؤقت فقط. وحمت الحكومة اللبنانية ممتلكاتهم وحافظت عليها متوقعة

عودتهم. ولم يتعرض المجتمع اللبناني اليهودي للخطر حتى الحرب الأهلية في العام ١٩٧٥ (الجدول أدناه). وبحلول العام ١٩٨٠، لم يبق سوى ما بين ٢٠٠ و ٣٠٠ يهودي في البلد، عشرون منهم بقوا في بيروت. وفي العراق بلغ عددهم عشيّة الحرب العالميّة الأولى ٨٧,٠٠٠ يهودي، سكن منهم ٥٠,٠٠٠ في العاصمة والباقي في البصرة والموصل وفي مجتمعات أصغر. وألفوا ٣,١٪ من إجمالي الكثافة السكانيّة في العراق. وفي عام ١٩٤٩، هاجر نحو ٢٠,٠٠٠ يهودي من مصر إلى فلسطين. وتجدر الإشارة إلى أنّ عدداً كبيراً من المهاجرين لم يقوموا بذلك مرغمين بل أغراهم قانون العودة والعلاوات السخيّة التي مُنحت لهم من سكن إلى رواتب نقدية.

البلد	تقييم الكثافة السكانية لليهود في البلدان العربية			
	١٩٤٨	١٩٧٦	١٩٩٣	١٩٩٨
المغرب	٢٦٥,٠٠٠	١٧,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	٦,٠٠٠
الجزائر	١٤٠,٠٠٠	٥٠٠	١,٠٠٠	–
تونس	١٠٥,٠٠٠	٢,٠٠٠	٣,٠٠٠	٣,٥٠٠٠
ليبيا	٣٨,٠٠٠	٢٠	٣٠	–
مصر	١٠٠,٠٠٠	٢٠٠	٢,٠٠٠	١٠٠
العراق	١٣٥,٠٠٠	٤٠٠	٦,٠٠٠	–
سورية	٣٠,٠٠٠	٤,٣٥٠	٢,٥٠٠	٣٠٠
لبنان	٥,٠٠٠	١٥٠	١,٠٠٠	
اليمن	٥٥,٠٠٠	١,٠٠٠	٢,٥٠٠	١٠٠
عدن	٨,٠٠٠	–	–	–
المجموع	٨٨١,٠٠٠	٢٥,٦٢٠	٤٠,٣٢٠	١٠,٠٠٠

ونجد المزيد من الطوائف الدينيّة في البلدان العربيّة أكثر من أيّ مكانٍ آخرٍ في العالم. فهناك أكثر من عشرين طائفة رسمية مختلفة في لبنان وحده(*). وتوجد بعض هذه الطوائف في العالم العربي فقط كالسامريين (الذين يؤمنون بكتب العهد القديم الخمسة الأولى فقط بينما يؤمن اليهود الكلاسيكيون بالعهد القديم بأكمله).

فالسامريون هم المتحدرون عن المملكة الشماليّة لإسرائيل القديمة. واليوم، يبلغ عددهم نحو ٦٠٠ ويتركزون في أحيائهم المميّزة الخاصة بهم على جبل جريزيم بالقرب من نابلس في وسط فلسطين ولديهم أسلوبهم الخاص في الكتابة المعروفة **بالكتابة العبرية القديمة.**

وفي المقابل، كان اليهود القدماء أكثر اهتماماً بطهارة دمائهم، بحيث يستطيع كل فرد في المجتمع أن يتعقّب تاريخه وصولاً إلى يعقوب، واهتموا بطهارة أضحيتهم أيضاً وأعربوا عن إيمانهم باستحالة تقديمها إلّا في معبد القدس. ولأنّ السامريين تزاوجوا بسهولة وضحّوا إلى ربّهم **في موطنهم** فقد قرّر يهود القدس أنّهم غير مكرّسين للطّهارة التي أمر بها الله وأعلنوهم منبوذين. ففي

(*) إنّ طوائف لبنان الرسميّة هي السنيّة والشيعيّة والدرزيّة والعلويّة والإسماعيليّة والمارونيّة والأرثوذكسيّة اليونانيّة والكاثوليكيّة اليونانيّة والأرثوذوكسيّة الأرمنيّة (الغريغوريّة) والكاثوليكيّة الأرمنيّة والأرثوذكسيّة السوريّة أو الجاكوبيّة والكاثوليكيّة السريانيّة والكاثوليكيّة الكلدانيّة والآشوريّة النستوريّة واللاتينيّة والرومانيّة الكاثوليكيّة والبروتستانتية واليهوديّة.

ذلك الوقت أصبحت مجموعتا الناس الوحيدتان في العالم، اللتان تبعتا القوانين التي أعطاها الله لموسى واللتان آمنتا بأنّهما متحدرتان عن إبراهيم عبر يعقوب، عدوين لدودين.

والمندائية(*) (المعروفة بالصابئة) هي طائفة أخرى ما زالت موجودة ويتركّز وجودها في جنوب العراق وهي تمارس التعميد في المياه الجارية وتؤمن بجميع الأنبياء من إبراهيم إلى يوحنا المعمدان (ما عدا المسيح ومحمد) وهم معروفون في المنطقة كصائغي الفضة. وهناك أيضاً في المنطقة طوائف عديدة وفريدة للعالم العربي كأقباط مصر وموارنة لبنان والكلدانيين والروم والكاثوليك والسريان المسيحيين في المدينة السوريّة معلولة التي ما زال أهلها يتحدثون باللّغة الآرامية التي تحدّث بها يسوع. وتعتبر جميع تلك المجتمعات عربيّة.

الجهاد

«انظروا إلى الإفرنجة» ولاحظوا بأي عزم القتال في سبيل دينهم بينما لا يدي المسلمون أي حماسة لشن حرب».

صلاح الدين الأيوبي

ومع الظهور القوي للمسلمين المتشددين خلال السنوات الخمسين الأخيرة، أصبحت عبارات الجهاد والحرب المقدسة والمجاهدين وجيش محمّد والجماعات الإسلاميّة أو أيّ جماعات

(*) وأحياناً يطلق العرب تسمية الصابئة على المندائيّة وهذا ما يثير بعض الالتباس مع طائفة السابين المنقرضة الآن والتي آمنت بقوة النجوم.

إسلاميّة أخرى مألوفة لدى الصّحافة الغربيّة. وهذا ما زاد من خوف الشّعوب الغربيّة وعدائها للعالم الإسلامي بشكلٍ عام والعربيّ بشكلٍ خاص. وقد تضاعف الخوف والحقد والعداوة نتيجة النشر المتكرر لصور لمجموعات من المسلمين المقنّعين يحملون القرآن في يد والكلاشنكوف في الأخرى ويقفون خلف أسير مرتعب ويعلنون للعالم كلّه بأنّهم سوف يقطعون رأسه ما لم تتحقق مطالبهم. وبما أنّ بعض ما يُعرض هو حقيقة فهذه مأساة ولكنّ المأساة الأخرى هي أنّ جميع هذه المشاهد البشعة التي يشهدها ملايين الناس قد أثّرت في العالم أجمع بشكل لا شعوري حتى صدّقوا أنّ مجموعات المتعصّبين الصّغيرة هذه هي ممثّلة للإسلام والعرب كلّهم، وخاصة لأنّهم يتحدثون باسم الجهاد الإسلامي.

تأتي كلمة الجهاد من الفعل العربي «جاهد» الذي يعني «أن يناضل» أو «أن يعمل جاهداً» أو «أن يبذل مجهوداً ليحرز شيئاً». وعادة تكون ترجمة هذه الكلمة غير دقيقة وخاطئة فتعني «حرباً دينيةً». يصنّف المسلمون الجهاد في نوعين: رئيسي وثانوي. **فالجهاد الرئيسي الأكبر هو السيطرة على غرائز الإنسان الأساسيّة وصراع الروح ضد الرغبات الأنانيّة من أجل تحقيق السّلام الداخلي. والجهاد الثّانوي الأصغر هو صراع الفرد للدفاع عن عائلته وبلده ودينه ضدّ أي تعدّ.** وهنا يأتي دور الجزء العسكري من الجهاد وتصحّ ترجمته بعبارة حرب مقدّسة. وتنقل السيرة النبويّة عن النبي محمد وهو يخاطب المجاهدين القادمين من المعركة بأنّهم قد عادوا من جهاد أصغر وعليهم الآن أن يواجهوا الجهاد الأكبر. ويناقض الإرهاب وقتل الناس الأبرياء تعاليم الإسلام. وحتى في الحرب، فقد حذّر النّبي محمد وخلفاؤه دائماً

من قتل النساء والأطفال أو من التّدمير الوحشي لممتلكات الناس.

ولم يتضمن الجهاد في الإسلام مهاجمة المدنيين المسالمين. فكانت التّفجيرات الانتحاريّة غير المغتفرة في مركزي التّجارة في نيويورك وتفجيرات محطات تحت الأرض في لندن وقطارات إسبانيا التي ارتُكبت باسم الإسلام بمثابة عملٍ مروعٍ للعرب المسلمين الحقيقيين الذين أدانوا هذه التفجيرات علناً. وقد فسّر الغرب هذه الهجمات التي قام بها متطرفون مخبولون بأنّها بعكس صورة الإسلام. وقد استغلها أعداء الإسلام أيضاً ليضعوا جميع العرب على قائمة الإرهابيين المحتملين. واستغلتها حكومات عديدة لتُحكم الوثاق ليس فقط على الأجانب بل على شعبها أيضاً.

كانت بعض حروب العرب تستهدف الأديان الأخرى، كالفتح الإسلامي في الشرق الأدنى والهند والحملات الصليبيّة والفتح التركي لأجزاء من أوروبا الشّرقيّة. ولم يكن الدين الدافع الرئيسي لهذه الحروب إلا في حالات نادرة. وفي المقابل، استخدم الأوروبيون الدين كعذر للحرب في الوقت الذي وقفت دوافع أخرى خلف شنّها. وتقف حملات القرن الحادي عشر الصليبية كأفضل مثال على ذلك. ولم يستطع المسلمون أن يفهموا كيف استطاع الفاتحون أن يقاتلوهم باسم عيسى إبن مريم (يسوع) الذي يعتبره المسلمون كواحد من أكثر الأنبياء الموقّرين احتراماً وروح الله ورسول السلام. وما زالت كلمة «**حرب صليبية**» تغضب العرب من كل الأديان لأنّها تبعث فيهم ذكرى حرب مقدسة شُنّت ضدهم. بينما في أكثر اللغات الغربية، **تعني كلمة «حملة صليبيّة» الحرب «باسم الصّليب»**. ويُشير الاسم أيضاً في

العالم الغربي إلى الصّراع ضد الشر كالحرب ضدّ الأمراض أو الفساد.

ولهذا، ما زال الشرق العربي يرى الغرب كالعدو الطبيعي. وقد عبّر التركي محمد آغا، الذي حاول أن يغتال البابا في أيار من عام ١٩٨١ عن هذا الشعور بصراحة وبصوت مرتفع بقوله «لكن قررت أن أقتل يوحنا بطرس الثاني لأنّه القائد الأعلى للحملات الصليبيّة».

أديان إبراهيميّة مقارنة

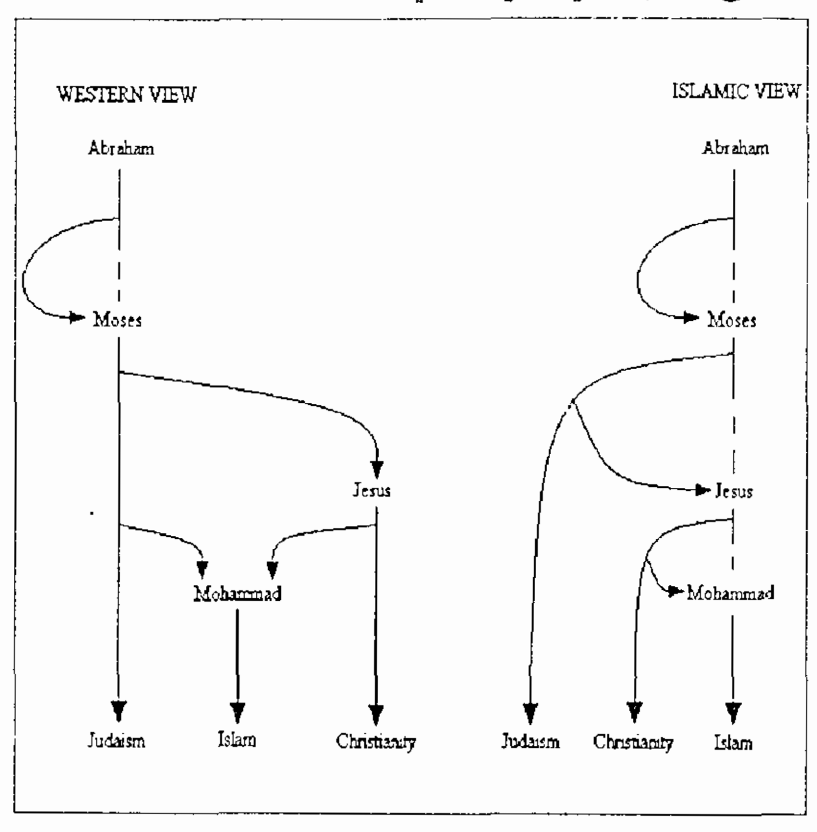
إنّ الفرق بين التفسيرات الغربيّة والإسلاميّة للعلاقة بين الأديان الثلاثة هي أنّ الغربيين يفسّرون المسيحيّة كفرع من اليهوديّة والإسلام وكخليط من التقاليد اليهوديّة والمسيحيّة بالإضافة إلى تأثيرات أخرى، بينما يؤمن المسلمون بثبات رسالة الله الوحيدة التي بُعثت عبر الأنبياء الأربعة. وبالنسبة للأنبياء الثلاثة الأخيرين فقد بُعثوا أيضاً ليرجعوا من ضلّوا إلى الدين الإبراهيمي (إيمان الطبيعة كما يسمّيه المسلمون).

وفي التقاليد الغربيّة، فقد بُعث موسى ليعيد الناس إلى دين إبراهيم. اليهود هم أولئك الذين يتبعون تعاليمه. فالمسيحية هي بدعة يهودية والإسلام هو بدعة يهودية مسيحية.

وحسب االتقاليد الإسلامية، فمنذ بداية الإسلام تكرّرت دورة إبراهيم وموسى مرتين إضافيتين. فقد بُعث المسيح ليعيد اليهود إلى طريق إبراهيم وموسى واليهود هم أولئك الذين لم يتبعوه. وما أن بدأ المسيحيون يضلّون، أرسل محمد ليعيد الجميع إلى طريق

إبراهيم وموسى وعيسى، أي ليهديهم إلى الإسلام أو دين الطهارة. وحسب هذا الرأي، فإنّ اليهوديّة والمسيحيّة هما بدعتان إسلاميتان (انظر الرسم البياني).

يوضح الرسم البياني التالي وجهتي النظر:



اعتقادات دينية

في البلدان الغربيّة وخاصة في الولايات الأميركيّة، هناك اهتمام كبير بما يسمى التراث اليهوديّ المسيحيّ. ومن الغريب أنّه عادة لا يدرج الإسلام، وهو الدين الإبرهيمي الثالث، في هذه الاهتمامات. ومن المحتمل أن يكون السبب وراء هذا هو جهل معظم الغربيين لطبيعة الإسلام الحقيقيّة. لكن الحوار الإسلامي المسيحيّ ناشطٌ جداً في العالم العربيّ. وفي ما يلي موجز لبعض نقاط الاتفاق والاختلاف بين الأديان الثلاثة:

١ - **الأنبياء**: يعترف اليهود بإبراهيم وموسى كما يسلّم بهما المسيحيون أيضاً إلى جانب يسوع، بينما يعترف المسلمون بجميع الأنبياء على أنّهم على قدم مساواة مع بعضهم البعض بمن فيهم محمد (انظر إلى **الرسم البياني**).

٢ - **رموز نبويّة**: وعلى الرغم من أنّ صورة المسيح في الدين اليهودي هي لمسيح مزيف وساحر وأنّ اليهود والمسيحيين ينظرون إلى محمد كنبي مزيف، يجلّ المسلمون الأنبياء الأربعة، فيعترفون بإبراهيم **خليل الرحمن** وموسى **كليم الله** ويسوع روح الله وكلمته ومحمد **رسول من الله**.

٣ - **الآخرة**: يؤمن المسلمون والمسيحيون بيوم القيامة وبالجنّة والنّار بينما لا تؤمن اليهوديّة الكلاسيكيّة بأيّ منهما. وما زالت مسألة لم يُفصل فيها بعد في العقيدة اليهوديّة السائدة. فوفقاً للأحاديث الإسلاميّة (الحديث والسنّة) فمن سيحكم «في آخر الزمان» هو يسوع، وليس محمد، حين يرجع كالمخلّص «**ويملأ العالم عدلاً**».

٤ - **الحبل بدون دنس**: يؤمن المسلمون والمسيحيون بحمل يسوع الطاهر. ولكن من الواضح أنّ اليهود لا يؤمنون به. وفي الحقيقة، هناك قصص في القرآن عن ولادة المسيح وطفولته المبكّرة والمعجزات التي قام بها كطفل أكثر منها في الإنجيل. وفي القرآن، تروى هذه القصص بأسلوب يوحي بأنّها كانت مألوفة لدى الناس. ومن المحتمل أنّ بعض هذه القصص تتوافق مع معتقدات مسيحية قديمة.

٥ - **الصلب**: وفي الوقت الذي يؤمن فيه المسيحيون بأنّ المسيح ابن الله قد صُلب لينقذ العالم، والذي يؤمن فيه اليهود بأنّ من صلب هو دجّال، يؤمن المسلمون بأنّ المسيح لم يصلب بل تهيّأ للناس بأنّه قد صلب. فهم يؤمنون بأنّه قد ارتقى إلى السماء جسداً وروحاً. وفي الواقع، فقد بُني مسجد في الموقع التقليدي لصعوده على جبل الزيتون شرق القدس. ويؤمن المسيحيون بأنّ المسيح قد صُلب لينقذ البشريّة ويجعل منه مخلّصاً. وبما أنّ المسلمين يؤمنون بأنّه لم يُصلب، فدوره كمخلّص قد أحيل حتى نهاية العالم.

٦ - **الإسلام**: في الإسلام يشار إلى اليهود والمسيحيين بـ«أهل الكتاب» ويعتبرون كمسلمين منشقين. فيما يعتبر اليهود والمسيحيون المسلمين زنادقة، ويعتبر اليهودُ المسيحيين زنادقة كالمسلمين.

ومن المثير للاهتمام أنّه حتى القرون الوسطى، اعتبر المسيحيون المسلمين كمنشقين. وكتب القدّيس يوحنا الدمشقي (في القرن الثامن بعد الميلاد) والذي كان على اطّلاع على الإسلام، عن الإسلام كفرعٍ من المسيحيّة. وكذلك، يضع دانتي في **الكوميديا الإلهيّة** محمد في جهنم واحدة مع البطاركة المسيحيين

الأرثوذكس حيث يتلقّى المعاملة نفسها ويُشطر بالسيف بشكل مستمر.

٧ - **الكتب المقدسة**: لا يعترف اليهود الأرثوذكس إلّا بالعهد القديم. **فالتلمود** هو نصّ كتاباتهم القانونية والذي هو في الجوهر تأويلٌ للعهد القديم. ويؤمن المسيحيون بالإنجيل بالإضافة إلى العهد القديم ورسائل القديس بولس والرسل الآخرين. وهذا ما يؤلف **العهد الجديد**. أما بالنسبة إلى المسلمين، **فالقرآن هو الكتاب المقدّس**. فيؤمن المسلمون بأنّ القرآن هو كلام الله الصحيح كما أنزل في اللّغة العربية على النبي محمد عبر الملاك جبرائيل. في الحالات التي لم تذكر في القرآن يعتمد المسلمون على أقوال النبي محمّد وأحكامه في حالات معينة (الحديث والسنّة)، كما أنّهم يعتمدون على الأحاديث الشّريفة وروايات الأنبياء الآخرين التي يعدّ من أبرزها الأقوال المنسوبة ليسوع المسيح.

وككلمة الله، يعتبر المسلمون القرآن مقدساً وذا جمال شعري بالغ. فقد تمّ جمعه في أيام الرسول وصيغت النسخة التي بين يدينا ونشرت بعد حوالى عشرين سنة من وفاته. ولكن لا يُعتبر الأنبياء مقدسين ولذلك ليس بالضرورة أن تحمل أقوالهم شأناً كبيراً خاصّة لأنّ أقوال محمد والأنبياء الآخرين لم تكتب إلّا بعد مرور ١٥٠ سنة على وفاته. يؤمن المسلمون بأنّ الكتابين الأصليين المنزّلين أي العهدين القديم والجديد قد حملا بشكل أساسي الرسالة التوحيديّة الصارمة ذاتها كما في القرآن ولكن الناسخين أو سوء التفسير قد حرفاهما. ولا يؤمن اليهود بأنّ العهد الجديد والقرآن هما إلهام سماوي. وهذا ما يؤمن به المسيحيون بالنسبة للقرآن.

٨ - **القوانين الغذائية**: يتبع اليهود قوانين غذائيةً شديدة التعقيد لا

تحدّد فقط أنواع الطعام التي يستطيع الإنسان أن يأكلها بل أيضاً الأنواع التي لا يمكن أن تؤكل معاً والأشخاص الّذين باستطاعتهم أن يأكلوا أنواعاً محدّدة (كأي من أجزاء الحيوان ينبغي إعطاؤها للكهنة). ليس للمسيحيين من قوانين غذائيّة على الإطلاق إلّا في أيام الصوم الأربعين (الصوم الكبير). أمّا المسلمون فيحظر عليهم أن يأكلوا لحم الخنزير والدّم واللحم الميت والحيوانات التي تضحى باسم إله غير الله الواحد. كما يحظر معظم علماء الدين شرب الكحول أيضاً، ولكن لا يتّبع هذا دائماً. ويذبح المسلمون الحيوانات بأسلوبٍ مشابهٍ للقانون اليهودي الصّارم بينما لا يقوم المسيحيون بهذا.

٩ - **يوم السبت**: إنّ السّبت هو يوم العطلة الأسبوعي المقدّس عند اليهود حيث تحظر قوانين موسى (التي يتبعها معظم الأرثوذكس) جميع الأعمال بما فيها إشعال الأنوار أو إطفاؤها. فينبغي أن يترك النّهار بشكل صارم لخدمة الله. أمّا بالنسبة للمسيحيين والمسلمين فليس نهارا الأحد والجمعة على التوالي مقدّسين فلا يحظر الدينان العمل فيهما، لكنّ حضور الصلاة الجماعية هو أمر محبّذ جداً. فقد ألغى يسوع القوانين اليهوديّة الصّارمة حين قال، «لقد وُضع يوم السبت ليخدم الإنسان ولم يسخّر الإنسان ليخدم يوم السبت». وتعتبر هذه من أكثر العبارات أهميّةً في تاريخ البشريّة. وقد أخذت الكنيسة المسيحيّة هذه العبارة لتُفيد بأنّ القانون الموسوي بأكمله قد وضع لخدمة الإنسان وليس على العكس. وهذا ما أدى إلى إلغاء قوانين الغذاء الصّارمة بالإضافة إلى قوانين يوم السبت.

١٠ - **بنية الطبقة الاجتماعية والعرق**: حسب التّقاليد اليهوديّة

المتزمّتة، لا يستطيع إنجاز مهام دينيّة محدّدة سوى اليهود المتحدرين من قبائل معينة ولا يستطيع أن يكون يهودياً إلّا من كانت أمّه يهوديّة. فنظرياً، اعتناق الدين اليهودي هو أمر مستحيل. لكن لا تتبع الطوائف اليهوديّة المتحررة جميع هذه القوانين بشكل صارم. ولا يملك المسيحيون والمسلمون مثل هذه القيود. بل وفي الواقع، فإنّ الدخول في أحد هذين الدينين أمرٌ محبّذ ومتاحٌ للجميع.

التطور

وقد شهدت جميع الأديان انشقاقات في بعض الطوائف وتشكيلاً لطوائف جديدة على الدوام. بعض هذه الطوائف أكثر تحرراً وبعضها أكثر تزمتاً، وأصبح بعضها مسيطراً ومن المحتمل أن يختفي بعضها الآخر قريباً. وتستمد هذه الطوائف هيمنتها من عدّة عوامل اقتصاديّة وحضاريّة وسياسيّة مؤقّتة. وهذا ما يصحّ في الأديان الإبراهيميّة كما في جميع الأديان الأخرى. فتنتشر مئات الطوائف وقوانينها الدينيّة أوسع نطاقاً من المعتقد في كل من الأديان السماويّة الثلاثة.

التشدد الديني

تشير التشدديّة الدينيّة في الأديان الإبراهيميّة الثلاثة إلى أكثر أجنحة هذه الأديان تشدّداً وأحياناً الأكثرها نضالاً. وفي بعض الأحيان، قد يتحوّل المتشدّدون إلى إرهابيين، ولكن ليس العديد من الإرهابيين بالضرورة أصوليين. وسواء كانت هذه الجماعات يهوديّة أو مسيحيّة أو مسلمة فهي تؤكّد على أنّ السلطة الدينيّة

هي شمولية ومطلقة. فتصبح تعاليم الكتب المقدّسة كما يفسرونها هي الدستور ويجب أن يسلّم به ويطبّق. وبالتّالي فهذا يعني تسلّطاً مطلقاً ودوراً رئيسياً في السياسة والحكومة. وبلغة أقلّ بساطة، فإنّ التشدديّة الدينيّة هي معادلة لتأسيس الثيروقراطية الدنيويّة (وهي دولة خاضعة لحكم رجال الدين). ولكن عملياً، هناك تباين طفيف في تطبيق هذه الأنظمة الدينيّة وفرضها. وفي ما يلي ملخصٌ يتبع التسلسل الزّمني للتشدديّة في الأديان الثلاثة:

التشدديّة اليهوديّة

أنتج الشعب اليهوديّ بعض أكثر مفكري العالم الحديث تحرّراً وتسامحاً كنعوم تشومسكي وإسرائيل شاحاك. وفي ذات الوقت، فإنّ بعض أكثر الناس تطرفاً وتعصباً يهودٌ أيضاً كالحاخامات الذين يعتبرون العرب صراصير أو يؤيّدون سلب المحصول الزراعي العربي. (الاستشهاد ١٤، الفصل ٨).

وهذه مقتطفات من مرجعٍ رئيسي للتشدديّة اليهودية كتبها إسرائيل شاحاك ونورتن مدفنسكي.

> «في السّنوات الأخيرة، كان هناك نمو مفاجئ للتشدديّة اليهوديّة في إسرائيل. ومن مظاهر هذه التشدديّة اغتيال رئيس الحكومة إسحاق رابين، وارتكاب جريمة قتل ٢٩ مسلماً أثناء فترة الصلاة على يد المتشدّد الأميركي المولد باروخ غولدشتاين والمعارضة القويّة لعملية السلام. ويبدي المتشدّدون اليهود احتقاراً كاملاً لمن هم غير يهود».

> «وفي إطار سياسي، يدعم المتشدّدون في إسرائيل الحروب

الإسرائيلية ويعارضون أي انسحاب من المناطق الفلسطينية. ويؤمن المتشدّدون بأنّ الله قد منح أرض إسرائيل بأكملها إلى اليهود بما فيها جميع مناطق غرب وجنوب الفرات امتداداً إلى أقصى سورية وأكثر العراق. وما زالت هذه الجماعة قليلة العدد في إسرائيل ولكنّها تتزايد تحت تأثيرٍ سياسي».

التشدديّة المسيحيّة

تتألف التشدديّة المسيحيّة من الجناح الإفانجليكي المسيحي المحافظ الذي هو جناح المسيحيّة البروتستانيّة المحافظ بحدّ ذاته. وعلى نحوٍ مماثلٍ، تشير الكنيسة الكاثوليكيّة التشدديّة إلى الكاثوليك الذين رفضوا التغيير وتمنّوا أن يحتفظوا بمعتقدات وممارسات تقليديّة.

وفي الولايات المتحدة ينتمي عدّة ملايين من الناس إلى مجموعةٍ من التشدديّة المسيحيّة المتطرفة. فيتقيدون ببعض نصوص الإنجيل التي تنص على أنّ يسوع سوف يعود إلى الأرض بعد استيفاء بعض الشروط المسبقة. وأوّل هذه الشروط هو تأسيس دولة إسرائيل وعودة جميع اليهود إلى «أراضي الكتاب المقدّس» وإعادة بناء الهيكل الثالث في الموقع الذي تشغله الآن قبة الصخرة ومسجد الأقصى. ومن ثمّ اشتعال حرب يفوز فيها الخير ويقع يوم القيامة.

وفي الوقت الحالي، يسعى المؤمنون بهذه الفرضيّة إلى تحقيق هذا كله عبر رعاية المستوطنات اليهوديّة في المناطق المحتلّة. ويقدّر المستطلعون الأميركيون بأنّ ١٥٪ من الناخبين في أميركا يتبعون

هذه التعاليم. فلهؤلاء الناس، ليس الشّرق الأوسط قضيةً وطنيةً بل شخصية أيضاً، وقد لعب هذا الاعتقاد دوراً مهماً في انتخابات الولايات المتّحدة الأميركيّة الأخيرة.

ويخلص المتشدّدون المسيحيون إلى حرفية تفسيرهم للإنجيل الذي يُشير إلى نهاية العالم وقتال هرمجدّون الفاصل وعهد المخلّص لألف سنة واعتناق الشعب اليهودي الدين المسيحي وتعميده ثم التأسيس النهائي لمملكة الله.

التشدد الإسلامي

إنّ التشدديّة الإسلاميّة هي الجناح المحافظ في الإسلام، وهناك اختلاف من حيث القوّة والتّفسير بين بلد وآخر.

ويقوم بعض المسلمين المتشددين بالنّشاط العسكري بأكمله وعمليات التفجير الانتحاريّة التي تحدث في العالم. وتؤمن هذه الجماعات بقيام الدّولة الإسلاميّة حيث تسود القوانين الدينيّة من دون الفصل بين «**الدّولة والدين**». واستناداً إلى فهمهم، يجب أن يُفرض الإسلام على الشعب عبر استخدام وسائل العنف إذا لزم الأمر.

وفيما ثمة اعتبارات دينية تُولّد التشدديّة الدينيّة في اليهوديّة والمسيحيّة، ففي الإسلام تدعم هذه الحركة عوامل اجتماعيّة ودينيّة واقتصاديّة في العديد من البلدان المسلمة ويلعب كلٌّ من الافتقار إلى الديموقراطية والحكم الاستبدادي والقادة السياسيين غير المنتخبين ومئات اللاجئين الفلسطينيين وثراء الأقلية الفاحش وفقر الأكثرية المدقع وسجلات حقوق الإنسان الرديئة وارتفاع

نسبة البطالة دوراً مهماً في تعزيز التشدديّة الإسلاميّة. ولعلّ الصراع الإسرائيلي الفلسطيني الذي استمر لأكثر من نصف قرن هو المحفز الأكبر لقيام التشدّدية.

فلولا هذه العوامل المترسّبة لوُجد بن لادن والقاعدة وطالبان وجماعات متطرفة أخرى ولكن بقوة وحدّة أقل بكثير. إذاً، لا ينبغي أن تشنّ الحرب على التشدديّة الدينيّة الإسلاميّة عبر مجرد القضاء على الإرهاب بالعنف ببساطة لأنّ ذلك سوف يولّد انتقاماً أكبر، بل يُقضى على التشدّدية الدينيّة عبر معالجة العوامل التي مهّدت الطريق إلى تكوينها.

٤

أصل الصّراع العربي الإسرائيلي

أ - أوروبا والعرب

مرّت العلاقة بين الشعب العربيّ والغرب بمراحل كثيرةٍ. بدأت هذه العلاقة بالحروب حين احتلت الجيوش العربيّة المسلمة الشّرق الأوسط وشمال أفريقيا في القرن السابع ميلادي. وفي سنة ٧١١، عبر العرب مضيق جبل طارق وبسطوا سيطرتهم على جزءٍ كبيرٍ من شبه الجزيرة الإيبيرية وسمّوها الأندلس أو أندلسيا. ومن اللافت أنّ ثلث الاثني عشر ألف رجلٍ الذين ألّفوا خيرة حرس الخليفة المسلم وأكثرهم جهوزيةً كانوا مسيحيين.

ولقرون عدة، كانت الحضارة العربيّة أكثر تطوراً من الأوروبيّة وكان العرب موضع احتقارٍ وإعجابٍ في آنٍ واحدٍ. كانت العربيّة لغة العلم في العالم وكان التفاعل الرئيسي بين العرب والغرب يتم عبر التجارة. أثار الغزو الصليبي للشرق الأوسط في القرن العاشر حساسيات في الغرب فقد أضافت خسارة الأوروبيين المذلّة إلى

الضغينة التي ضمروها للعرب والمسلمين. وأجّج إلى حدٍّ بعيد سقوط القسطنطينية في يد المسلمين الأتراك في سنة ١٤٥٣ وأثار التوسّع السّريع للأمبراطوريّة التركيّة العثمانيّة في أوروبا الشرقيّة خوف الأوروبيين وكرههم للمسلمين.

مراحل المجتمع



صورة من كتاب ميتشل توماس «نظام الجغرافيا الحديثة». نشرته دار كوبرثوارد وشركائه للنشر في فيلادلفيا في سنة ١٨٤٥. العرب في الجزء الأول من الصورة برابرة وليسوا حتّى نصف متمدنين كالأتراك.

أراد كولومبوس، وهو إيطالي ضمر الحقد للمسلمين، أن يجد طريقاً بديلةً للتجارة مع الشرق الأقصى ليتجنب الاحتكاك مع العرب، فقصد ملك وملكة إسبانيا اللّذين كانا لتوهما قد طردا العرب من شبه الجزيرة الأيبيرية وحصل منهما على تمويل الحملة. ومع الاكتشاف الأوروبي للأميركيتين في عام ١٥٤٢، بدأ الذهب والفضة يتدفقان إلى أوروبا، وينقلان الرخاء المالي من العرب إلى الأوروبيين. وقد سرّع هذا التضخم المالي والتغيير في خطوط التجارة من الشّرق الأقصى إلى أوروبا عبر الدول العربيّة في انهيار العرب الذي كان قد بدأ عبر الحروب الداخليّة وحرب المغول على الجبهة الشرقيّة. بالإضافة إلى الإنتاج الأوروبي للبارود الممتاز من مناجم النترات الألمانيّة وإلى إدخال مبدأ الإبحار في عكس الريح (الذي تعلّموه من العرب)، فقد رجّحت الثّورة الصناعيّة الأوروبيّة كفّة الميزان لصالح الأوروبيين أكثر. وفي الوقت ذاته، بدأت المقاطعات العربيّة بخسارة غاباتها كمصدر للطاقة وكمادة لصنع آلات الرياح والمياه بينما كانت لا تزال المياه والخشب متوافرين في أوروبا. وقد كانت القوانين الوراثيّة الإسلاميّة الصارمة **والعادلة** مسؤولة عن انهيار العرب أيضاً لأنّها أوصت بتقسيم الملكية بين جميع الأولاد وبهذا فقد حالت دون تكوين رأسمال كبير والذي يلعب دوراً أساسياً في تطور الصناعة. فأصبح الاستعمار الأوروبي الذي يقوده البرتغاليون العامل المسيطر في العلاقة العربيّة الغربيّة. وعزّزت الاعتبارات الاقتصاديّة والدينيّة المسيحيّة هذه الأسباب وحطّت من قدر صورة العرب أكثر.

ويرجع الغزو الأوروبي الاقتصاديّ للشّرق الأوسط لعدة قرون. وقد **ازداد عقب** اكتشاف البترول في إيران والعراق في القسم الأول من القرن العشرين **حين** اكتشف البترول في الدول الخليجيّة في

وقتٍ لاحقٍ بعد أكثر من عقد من الزمان بقليل.

وفي نهاية الحرب العالميّة الأولى، أصبح للبترول أهميّة استراتيجيّة واقتصاديّة كبيرة. وعلى الصعيد السياسي، فقد تجزّأ الشّرق الأوسط بعد تحطم الأمبراطورية العثمانيّة على يد القوى الأوروبيّة الظافرة. وسيطر البريطانيون على العراق ودول الخليج وفلسطين والأردن ومصر والسودان وجنوب اليمن. وحصلت فرنسا على حق السيطرة على سورية ولبنان والمغرب والجزائر وتونس. كما أعطيت ليبيا لإيطاليا ونالت إسبانيا موطئ قدم في شمال أفريقيا. ولم يكن هناك من دولة عربية مستقلّة حقاً ربما باستثناء مملكتي العربيّة السعوديّة واليمن الشمالي.

ب – الولايات المتحدة والعرب

قبل دخول الولايات المتّحدة إلى الحرب العالميّة الثانيّة، كان هناك دوافع سريّة كبيرة للمصالح الأميركية في الشرق الأوسط. فقد هدفت العلاقات التجاريّة والأنشطة الإنسانيّة والثقافيّة التي طوّرها المواطنون الأميركيون والمنظمات إلى كسب مركزٍ مرموقٍ واحترامٍ للولايات المتّحدة الاميركية بين شعوب العالم العربي. ثم منحت الولايات المتحدة هذا الدعم للعالم العربي لغايات إنسانيّة وعلميّة لا سياسيّة مع اهتمام بسيط بالمصلحة الوطنية للولايات المتحدة. ومثالٌ جديرٌ بالذكر على ذلك هو تأسيس الجامعة الأميركية في بيروت في عام ١٨٦٦ والتي يمكن اعتبارها من أقل الاستثمارات كلفةً والأكثر ربحاً للولايات المتّحدة في الشّرق الأوسط، ففي هذه الجامعة، اكتسب عشرات الآلاف من رجال ونساء العرب من جميع أنحاء العالم العربي مبادئ الديموقراطيّة والعدالة والأمانة العلميّة وحقوق الإنسان. وقد أدرك العرب عدم

مبالاة الحكومة الأميركية بشكل عام ولم تنسب للجامعة سوى الدوافع النبيلة. ونظر العرب إلى الولايات المتّحدة كالقوة الغربيّة الوحيدة التي تكنّ اهتماماً حقيقياً للشعب العربي إلى جانب مصالح مشتركة أخرى. وعلى أثر البحث في أمنيات الشعب في سورية الأكبر بعد الحرب العالميّة الأولى، نقلت لجنة كينغ كراين تفضيل الشعب لنيل الاستقلال. فإذا تعذر إحرازه، اختاروا تفويض الولايات المتّحدة بانتدابات الشّرق الأوسط.

وفي نهاية الحرب العالميّة الثانيّة، ضعف نفوذ فرنسا وإنكلترا تدريجياً، وملأ التأثير الأميركي في الشّرق الأوسط الثغرة التي خلّفها هذا الضعف. أمّا من وجهة نظر العرب، فقد حظيت مشاركة الولايات المتّحدة الأميركيّة بقدرٍ كبيرٍ من الاهتمام لأنّها سرّعت في تحقيق الاستقلال في عدد من الدول العربيّة.

ولسوء الحظ فقد غيّر الدعم الأميركي الكبير للصهيونيّة هذه الصورة الإيجابيّة التي نالتها الولايات المتّحدة. وفي العام ١٩٤٨، أسّست دولة إسرائيل(*). فكانت للأميركيين بمثابة حاملة طائرة غير قابلة للإغراق تشهر سيف ديموقليس في وجه الدول العربية المجاورة وكحليف رئيسي في منطقة غالباً ما تكون عدائيةً ومضطربةً. وقد ثبت عدم صحّة هذه الحجّة كما حدث في حربي الولايات المتّحدة ضد العراق في العامين ١٩٩٠ و ٢٠٠٣ حيث وجد الأميركيون أنّه من غير المعقول بل ومن الخطر أن تورّط إسرائيل عسكرياً **معها**.

(*) بدأت حركة اليهود المضطهدين وخاصّة من أوروبا الشرقيّة لإنشاء دولة يهوديّة مدعومة من الأوروبيين المناهضين للساميّة والمسيحيين المتشدّدين.

ولا يمكن الاستخفاف بدور اللوبي الصهيوني في التأثير على الرأي العام الأميركي والسياسة الأميركيّة. ويلخص بيان الرئيس هاري ترومان هذا الدور بشكل أفضل. وكان ترومان الرئيس الأول الذي يصدّق على تأسيس دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨. وقد جاء على لسان ترومان **وهو يتحدث إلى السلك الدبلوماسي العربي سنة ١٩٤٥** ما يلي:

أيّها السادة، أنا آسف ولكن يجب أن أجيب مئات الآلاف الذين يتشوقون لنجاح الصهيونيّة. فأنا لا أملك مئات آلاف العرب المقيمين في بلادي.

تبلغ قيمة الدّعم الاقتصادي الأميركي لإسرائيل حوالي خمسة مليارات دولار في السنة. ويتضمن الدّعم الماديّ دعماً اقتصادياً وعسكرياً بالإضافة إلى الاستثناءات الضريبية للتبرعات المقدّمة إلى إسرائيل.

والدعم الدبلوماسي هو الأكثر وضوحاً؛ فعلى الرغم من أنّ الحكومة الأميركية تدلي بين الحين والآخر بتصاريح عن السياسة غير المتحيّزة في الشّرق الأوسط، يظهر السجل أنّ الولايات المتّحدة قد نقضت تقريباً كل قرار أصدره مجلس الأمن يدين الأعمال الإسرائيلية ولو حتى بشكل معتدل. وكانت الولايات المتّحدة في أكثر الأوقات التي استخدمت فيها حق النقض (الفيتو) ــ ٢٤ مرّةً ــ في موضع الدفاع عن إسرائيل وفي تحدٍّ مع دول العالم الأخرى (أنظر الجدول التالي). وفي المقابل، وخلال الفترة ذاتها، استخدمت الولايات المتّحدة سلطتها بحق الفيتو عشر مرات فقط في المسائل العالمية الأخرى.

جدول ممارسات حقوق النقض التابعة لمجلس الأمن
التصويت السلبي من سنة ١٩٨٤ حتى الآن

الموضوع	التاريخ	التصويت
جنوب لبنان: تدين العمل الإسرائيلي في جنوب لبنان. س/ ١٦٧٣٢	١٩٨٤/٩/٦	نُقضت: ١٣-١ (الولايات المتّحدة)
الأراضي المحتلة: تشجب «التدابير القمعية» التي تتخذها إسرائيل ضد الشعب العربي. س/ ١٩٤٥٩	١٩٨٥/٩/١٣	نُقضت: ١٠-١ (الولايات المتّحدة)
لبنان: تدين الممارسات الإسرائيلية ضد المدنيين في جنوب لبنان. س/ ١٧٠٠٠/	١٩٨٥/٣/١٢	نُقضت: ١١-١ (الولايات المتّحدة)
الأراضي المحتلة: تدعو إسرائيل إلى احترام الأماكن الإسلامية المقدسة. س/ ١٧٧٦٩/ ريف ١	١٩٨٦/١/٣٠	نُقضت: ١٣-١ (الولايات المتّحدة)
لبنان: تدين الممارسات الإسرائيلية ضد المدنيين في جنوب لبنان. س/ ١٧٧٣٠. ريف ٢	١٩٨٦/١/١٧	نُقضت: ١١-١ (الولايات المتّحدة)
ليبيا /إسرائيل: تدين إسقاط طائرة مدنية ليبيا ضلت عن مسارها. س/ ١٧٧٦٩/ ريف ١	١٩٨٦/٢/٦	نُقضت: ١٠-١ (الولايات المتّحدة)
لبنان: مسودة تشجب بعنف هجمات إسرائيل المتكررة على الأراضي اللبنانية وتدابير أخرى وممارسات ضد السكان المدنيين. س/ ١٩٤٣٤	١٩٨٨/١/١٨	نُقضت: ١٣-١ (الولايات المتّحدة)
لبنان: مسودة تدين غزو القوات الإسرائيلية الأخير لجنوب لبنان وتكرّر المطالبة بالانسحاب الفوري لجميع القوات الإسرائيلية من الأراضي اللبنانية. س/ ١٩٨٦٨	١٩٨٨/٥/١٠	نُقضت: ١٤-١ (الولايات المتّحدة)

لبنان: مسودة تشجب بشدة الهجمة الإسرائيلية الأخيرة على الأراضي اللبنانية في كانون الثاني من العام ١٩٨٨. س/ ٢٠٣٢٢	١٩٨٨/١٢/١٤	نُقضت: ١٤-١ (الولايات المتّحدة)
الأراضي المحتلة: مسودة تدعو إسرائيل إلى قبول التطبيق القانوني لمؤتمر جنيف الرابع. س/ ١٩٤٦٦	١٩٨٨	نُقضت: ١٤-١ (الولايات المتّحدة)
الأراضي المحتلة: مسودة تحثّ إسرائيل على الالتزام بمؤتمرجنيف الرابع وتلغي الأمر الذي يقضي ترحيل المدنيين الفلسطينيين وإدانة سياسات وممارسات إسرائيل التي تنتهك حقوق الإنسان للشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة. س/ ١٩٧٨٠	١٩٨٨	نُقضت: ١٤-١(الولايات المتّحدة)
الأراضي المحتلة: تشجب سياسات وممارسات اسرائيلية في الأراضي المحتلة ويشجب أيضاً بشدة تجاهل إسرائيل المستمر لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة الوثيقة بالموضوع.	١٩٨٩/٢/١٧	نُقضت: ١٤-١(الولايات المتّحدة)
الأراضي المحتلة: تدين السياسات والممارسات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة.	١٩٨٩/٦/٩	نُقضت: ١٤-١ (الولايات المتّحدة)
تشجب السياسات والممارسات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة.	١٩٨٩/١١/٧	نُقضت: ١٤-١ (الولايات المتّحدة)
الأراضي المحتلة: مسودة مشروع حركة عدم الانحياز لإنشاء لجنة وإرسال ثلاثة أعضاء من مجلس الأمن إلى ريشون لتسيون حيث أطلق إسرائيلي النار على سبعة عمال فلسطينيين.	١٩٩٠/٥/٣١	نُقضت: ١٤-١(الولايات المتّحدة)

الشرق الأوسط: تؤكد أن مصادرة إسرائيل للأرض في شرق القدس هو باطل وينتهك قرارات مجلس الأمن ذات الصلة وأحكام مؤتمر جنيف الرابع ويعرب عن تأييده لعملية السلام بما فيها إعلان المبادئ في ١٩٩٣/٩/١٣.	١٩٩٥/٥/١٧	نُقضت: ١٤-١ (الولايات المتّحدة)
الشرق الأوسط: تدعو السلطات إلى الامتناع عن اتخاذ جميع الإجراءات أو التدبير بما فيها أنشطة الاستيطان.	١٩٩٧/٣/٧	نُقضت: ١٤-١ (الولايات المتّحدة)
الشرق الأوسط: يتطلب من إسرائيل أن توقف إنشاء المستوطنات في شرق القدس (التي يطلق عليها الفلسطينيون اسم جبل أبو غنيم والإسرائيليون هار حوما) وكذلك كل نشاط التوطين الإسرائيلي في الأراضي المحتلة.	١٩٩٧/٣/٢١	نُقضت: ١٣-١ (الولايات المتّحدة)
نداء إلى مراقبي القوة الطبيعة للأمم المتحدة في الضفة الغربية- غزة.	٢٠٠١/٣/٢٧	نُقضت: ١٢-١ (الولايات المتّحدة)
تدين أعمال الإرهاب وتطلب بوضع حد للعنف وإلى إنشاء آليات رصد لجلب المراقبين.	٢٠٠١/١٢/١٥	نُقضت: ١٢-١ (الولايات المتّحدة)
تدين قتل القوى الإسرائيلية للعديد من موظفي الأمم المتحدة وتدمير مخزن برنامج التغذيه العالمي.	٢٠٠١/١٢/٢٠	نُقضت: ١٢-١ (الولايات المتّحدة)
تطلب وقف تهديدات إسرائيل بطرد القائد الفلسطيني ياسر عرفات.	٢٠٠٣/٩/١٦	نُقضت: ١١-١ (الولايات المتّحدة)
تسعى لمنع إسرائيل من توسيع الحزام الأمني.	٢٠٠٣/١٠/١٤	نُقضت: ١٠-١ (الولايات المتّحدة)
تدين إسرائيل لقتلها أحمد ياسين.	٢٠٠٤/٣/٢٥	نُقضت: ١١-١ (الولايات المتّحدة)

ولذلك فليس من المستغرب أنّ يتحوّل الموقف العربي نحو الولايات المتّحدة من الإعجاب إلى العداء. وهذا ما عزّزه شعور السياسيين العرب بالإحباط لعدم قدرتهم على التأثير على السياسة غير الوديّة للولايات المتّحدة أي البلد الذي يعتبرونها بشكل أساسي «بلد الأحرار» وقائدة العالم في الحكومة الديموقراطية. وضاعف شعور العداء عند العرب إحساسهم بأنّ الولايات المتّحدة تتحكم ببعض الحكومات العربية وتتلاعب بها وتدعم فقط أولئك الذين يتبعون إرشاداتها.

وفي غضون ذلك، فإنّ فشل الحكومات العربيّة في تحقيق التّطور وزيادة الفجوة بين الغني والفقير وعجز الحكومات العربيّة عن السيطرة على التوسع الإسرائيلي، كل ذلك أدّى إلى إضعاف شعور العرب بالتماسك وقيام التشدديّة الإسلاميّة. ففي بادئ الأمر شجّعت القوى الغربيّة التشدّدية الإسلاميّة كحركة مناهضة للشيوعيّة بقوّة موازنة لحركة العرب الوطنيّة، وهذا ما سرّع من نموّها بين جماهير العرب. اكتسبت الحركات التشدديّة تنظيماً وقوةً أدت إلى استقلالها عن السيطرة الخارجيّة وإلى نشوء قيادةٍ تؤمن بـ«الدولة الإسلاميّة» تحكمها هذه الحركات وترتكز على تفسيراتها المحدودة للإسلام (أنظر إلى وصف الدولة الإسلاميّة في قسم التشدديّة الإسلاميّة). ولبلوغ ذلك الهدف، فقد اعتبروا جميع الوسائل والتضحيات مبرّرة. وقد حازت الحركة التشدديّة على الكثير من الدعم الشعبي بين العرب الذين يعارضون طريقة تفكيرها وتصرفها نظراً لكونها الحركة الوحيدة التي تقف ضد الهيمنة الغربيّة والإسرائيليّة. ويمكن أن نلتمس هذا الشعور حتى لدى العديد من العرب المسلمين والمسيحيين الليبراليين.

ج – بدايات دولة إسرائيل

لماذا ومتى وأين وكيف؟

بعد الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في شرق أوروبا في القرن التاسع عشر مع قيام الثورات المناهضة للساميّة، والتي يُشار إليها بالمذابح بشكل عام، رحلوا من روسيا إلى رومانيا، وهذا ما قادهم إلى الهجرة بأعداد كبيرة إلى بريطانيا. وقد أظهر الشعب البريطاني ردّة فعل عدائيّة نحو هذه الهجرة، ما أدى إلى نشوء عدد من الجمعيات المناهضة للأجانب ومن أهمّها «رابطة الأخوة البريطانيّة». وقد ذكرت هذه الجمعيات في شهادتها بأن اليهود لن يتمكنوا أن يكونوا مواطنين أوفياء لهذا البلد الذي اتخذوه موطناً لهم إذا بقوا أوفياء لهويتهم اليهوديّة. وأعلنت أيضاً أنّه مهما كان مصاب الناس في بريطانيا العظمى فهذا نتيجة لوجود اليهود. وطالبت رابطة الأخوة البريطانيّة بضرورة توقف تدفّق اليهود عبر التشريع. وهذا ما أدى إلى اقتراح البرلمان البريطاني تشكيل «قانون الأجانب» للحد من الهجرة.

اتبع هذا الاقتراح مناقشات مطوّلة في البرلمان بين المؤيدين والمناهضين «لمشروع قانون الأجانب». وقد طُلب من العديد من الشهود أن يقدموا اقتراحاتهم في هذه المسألة. وكان من بينهم الدكتور ثيودور هيرتزل، وهو مؤسس ورئيس المنظمة الصهيونيّة العالميّة. وقد صرّح الدكتور هيرتزل بما يلي، «**لن يحل المشكلة التي تمّ دعوة اللجنة للتحقيق وإسداء النصيحة فيها سوى تحويل تيار الهجرة المتوقع ازدياد تدفّقه من أوروبا الشرقيّة. لا يستطيع يهود أوروبا الشرقيّة أن يبقوا حيث هم الآن ـ فإلى أين يذهبون؟ إذا اكتشفوا أنّه غير مرغوب بهم هنا، فيجب أن يوجد**

لهم مكان بديل يهاجرون إليه. ومن دون ذلك، ستثير الهجرة إلى البلد الجديد المشاكل التي ستواجههم هنا. لكن لن تنشأ هذه المشاكل إذا عُثر لهم على موطن يعترف بهم وبشكل رسمي كيهود». وتجدر الإشارة هنا أنّه لا يدعم جميع اليهود هذا الرأي نظراً لأنّ معظمهم قد عارض قيام دولة يهودية.

وفي عام ١٩٠٥، قال رئيس حكومة بريطانيا آرثر بلفور في مناظرة أثناء مرحلة من مناقشة قانون الأجانب المتعلّقة بهجرة اليهود من أوروبا الشرقيّة إلى إنكلترا، هذا الكلام اللاسامي، «**من السهل تصوّر حالة الوضع بحيث لن يكون من مصلحة حضارة البلد وجود جماعة هائلة من الأشخاص الذين مهما بلغت حدود وطنيتهم وقدرتهم وكدحهم ومهما انغمسوا في الحياة الوطنية، فقد أبقتهم أعمالهم شعباً منفصلاً عن البقيّة وهم لم يتبعوا ديناً يختلف عن الأغلبية العظمى من زملائهم المواطنين فحسب ولكنهم تزاوجوا فيما بينهم فقط**».

بعد اثنتي عشرة سنة كان ذلك الرجل نفسه، أي اللورد آرثر بلفور، والذي عارض الهجرة اليهوديّة إلى إنكلترا، هو وزير الشؤون الخارجية الذي قام بالتصريح الشهير في الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر من العام ١٩١٧ والذي عُرف فيما بعد بـ«وعد بلفور» معلناً إنتصاراً صهيونياً تاريخياً. وتكمن أهمية وعد بلفور بأنّ **المستعمرات** على الأراضي الفلسطينية التي أنشأتها أعظم أمبراطورية في العالم آنذاك، قد خدمت كحافز قوي لباقي العالم للمساعدة على تحقيق الحلم الصهيوني. وحين نالت الحكومة البريطانيّة حق السيطرة على فلسطين بصفتها السلطة المنتدبة، أدخلت لجنة الأمم المتحدة وعد بلفور في الانتداب (من الأمم

المتّحدة). وعد اللورد بلفور بإعطاء أرض في فلسطين إلى اليهود حين لا تكون تلك الأرض خاضعة للحكم البريطاني. ولهذا، فقد قدّمت إنكلترا هدية لم تمتلكها إلى شعبٍ كان يحمل جنسية في بلدان أخرى ودون أن تتكبد عناء استشارة أصحاب الأرض. وكانت هذه الهديّة عبارة عن بلد اسمه فلسطين.

د. أرض فلسطين

«ما هو مميز في الغرب هو أنّهم أصغوا إلى الفريق الذي ارتكب الإساءة ولم يعيروا أذناً صاغيةً للضحايا».

أرنولد توينبي

وفقاً للعهد القديم، إنّ اليهود هم من كلدان في بابل أو عراق اليوم. هاجروا بقيادة إبراهيم إلى سورية في حوالي العام ٢٠٠٠ قبل الميلاد ثم إلى فلسطين التي كانت مأهولة من قبل الكنعانيين الذين كانوا قبائل عربيّة ساميّة. وفي الكتابات الأكادية، ترقى فلسطين إلى سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد وكان اسمها «أرض عمار» تيمناً بالعمّاريين الذين كانوا القبائل الساميّة الأولى التي سكنت سورية.

وكانت بلاد كنعان، أي أرض فلسطين القديمة، مفترق طرق حيوياً لجميع المناطق. وأصبح هذا العقار أكثر سحراً للبلدان الواقعة إلى الغرب كمصر، وإلى الشرق والشمال. وبهذا فقد شهدت فلسطين فتوحات متكرّرة على المنطقة بدأت بغزو مصر الفرعونيّة والحثيين والفلسطينيين، الذين طبعوا هذه الأرض باسمهم، وأخيراً،

الإسرائيليين. ووفقاً للتوراة، ففي سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد انتزع الملك الإسرائيلي **داوود** القدس من اليبوسيين، وحارب الفلسطينيين وهزم المناطق المجاورة شرق فلسطين. حكم الملك **داوود** لأربعين سنة وحكم ابنه سليمان من بعده. وكان العمر الكامل لمملكتي داوود وسليمان هو ٧٣ سنة. وبعد موت سليمان في سنة ٩٨٧ **قبل** الميلاد انهارت المملكة ولم تعد الأرض في قبضة اليهود.

لكن هناك شكوك حول مملكتي داوود وسليمان. فقد أعلن طومس طومسون، وهو عالم الآثار التوراتية المشهور، في كتابه **الماضي الخيالي: علم الآثار التوراتي وأسطورة إسرائيل** أنّه ليس هناك من دليل أثري على مملكة الملك سليمان في فلسطين وليس هناك بنى تحتيّة تدعم مثل هذه المملكة؛ وهذا ما أكّده علماء الآثار الآخرون **ومنهم العلماء الإسرائيليون.** ووفقاً لطومسون لا يستطيع المرء أن يأخذ التوراة كتاريخ دقيق ولكن لا ينبغي أن تحطّ هذه الحقيقة من شأنه ككتاب مقدس.

وبينما يعلّل البرفسور طومسون سبب عدم وجود أدّلة على وجود مملكة سليمان على أساس أنّها أسطورة؛ وضع البرفسور كمال صليبي (وهو خبير في اللغة العبرية القديمة) القصص التوراتيّة في عسير (شمال اليمن وجنوب السعودية). وتقوم حجج صليبي بشكل أساسي على الأسماء والأمكنة التي تعرف بكونها ثابتة وعلى أوصاف جغرافيّة في التوراة. ويتماشى كل من هذين الشرحين بالنسبة إلى عسير على نحو أفضل منه مع فلسطين.

ومنذ ذلك الوقت وحتى الفتح العربي المسلم في سنة ٦٣٨ ميلادية، شهدت فلسطين العديد من الفاتحين. (أنظر الجدول ١)

الجدول (١)
فاتحو فلسطين المتعدّدون (كلاسيكي)

حكام فلسطين	تاريخ الحكم	مدة الحكم بالأعوام
المستوطنون الأوائل	قبل الميلاد	غير محدد
الكنعانيون		غير محدد
مصر	غير محدد	غير محدد
الهكسوس	١٧١٠-١٤٨٠	٢٣٠
مصر (الموثقة)	١٤٨٠-١٣٥٠	١٣٠
الحثيون	١٣٥٠-١٢٩٠	٦٠
مصر	١٢٩٠-١١٥٤	١٣٦
محليون (الكنعانيون الفلسطينيون- اليهود)	١١٥٤-١٠٠٠	١٥٤
يهود (داوود وسليمان)	١٠٠٠-٩٢٧	٧٣
يهود (إسرائيل- القبائل العشر)	٩٢٧-٧٢٢	
يهود (يهوذا)	٩٢٧-٥٨٦	
يهود (الانتشار الأوسع للتواريخ)	١٠٠٠-٥٨٦	٤١٤
بابل	٥٨٦-٥٣٨	٤٨
بلاد فارس	٥٣٨-٣٣٠	٢٠٨
اليونان	٣٣٠-٣٢٣	٧
المصريون (البطالسة)	٣٢٣-٢٠٠	١٢٣
السلسيون (سورية)	٢٠٠-١٤٢	٥٨
اليهود (المكابيون، جزئياً فقط)	١٤٢-٧٠	٧٢
السلسيون (تروفون، جزئياً فقط)	١٤٢-٧٠	٧٢
أرمينيا	٧٠-٦٣	٧
روما (الأمبراطورية الغربيّة والشرقيّة)	٦٣ قبل الميلاد - ٦١٤ ميلادي	
بلاد فارس	٦١٤-٦٢٨	١٤
روما	٦٢٨-٦٣٨	١٠
العرب (المسلمون)	٦٣٨-١٠٨٥	٤٤٧

وقد دام فتح العرب لفلسطين ٤٤٧ سنة بدءاً من سنة ٦٣٨ حتى سنة ١٠٨٦. وتبعته فتوحات الأتراك والصليبيين والسلاجقة والمماليك حتى قيام الأمبراطوريّة العثمانيّة التي دام حكمها لمدة ٤٠١ سنة أي من سنة ١٥١٧ حتى سنة ١٩١٨. وبعد الحرب العالميّة الأولى كانت فلسطين تحت الانتداب الإنكليزي حتى سنة ١٩٤٨ عند قيام دولة إسرائيل في ذلك الوقت.

وإذا حكمنا أنّ حق ملكيّة أي أرض يعود إلى الأسلاف الذين حكموها سياسياً ولحقبة زمنية واحدة وطويلة، فالجدول رقم (٢) يُظهر أنّه قد تفوق على العرب واليهود كل من مصر، وهي القوة الفاتحة العظمى، وروما التي كان حكمها هو الأطول، والإمبراطوريّة العثمانيّة (تركيا) التي حازت على الحق الأخير في امتلاك أرض فلسطين. فإذاً، من يمتلك الحقّ القانونيّ في حكم فلسطين؟ هناك شعبٌ واحدٌ ولكن غير مذكورٍ تقريباً ومتجاهل وعملياً منسي، وهذا هو الشعب الفلسطيني الأصلي ذاته.

الجدول (٢)

أطول عهود الحكام لأرض فلسطين

مصر	٦١٥ سنة
اليهود	٤١٤ سنة
الأمبراطورية الرومانية	٦٧٧ سنة
العرب	٤٤٧ سنة
العثمانيون	٤٠١ سنة

وتجدر الإشارة إلى أنّه لم يكن هناك في أي من هذه الفتوحات أي محاولة للتطهير العرقي ما عدا، وإلى حد ما، عندما احتل جوشوا جزءاً من الأرض. وكالعادة، فقد تمازج المحتلون مع السكان الأصليين فأغنوا التراث وأسهموا مجمع الجينات الذي ساد المجتمع. وقد تناول القادة الصّهاينة الأصليون موضوع التطهير العرقي نظرياً فقط. قال حاييم وايزمان في مؤتمر الصهيونيّة العشرين في العام ١٩٣٧، «**لقد وعد الله اليهود بأن يعطيهم أرض إسرائيل، وهذا الوعد هو ميثاقنا الأكثر أهمية**». وحدث التطهير العرقي الحقيقي في فلسطين في عام ١٩٤٨ حين أسّست دولة إسرائيل ونشأت مشكلة اللاجئين. فقد أراد مؤسسو دولة إسرائيل بشكل أساسي، وكذلك جميع الحكومات التي تتابعت، أن تكون دولة يهودية محضة مع أغلبيّة يهوديّة ساحقة. حتى أنهم ذكروا بأنّه ليس هناك من شيء اسمه فلسطينيون (انظر الرسوم التوضيحية في هذا الفصل والاستشهاد رقم ٥ في الفصل الثامن). لقد أرادوا جميع الأرض من دون شعبها وهذا ما لم يرض به العرب إطلاقاً. فكان من الصعب بالنسبة لهم أن يروا ذلك يحدث لهم في القرنين الماضي والحاضر. ولم ينكر أحد الظلم الذي عاناه الشعب اليهوديّ على مرّ تاريخه ولكن لم يكن هذا على يد العرب. ولذلك لا يفهم العرب لماذا يتعيّن عليهم أن يدفعوا ثمن المعاملة الوحشية التي عانى منها اليهود على يد الآخرين. وفي عام ١٩٤٨، بلغ عدد السكان التقريبي في فلسطين حوالي ١,٦٥٠,٠٠٠ فلسطيني (**مسلم ومسيحي**) و٧٥٠,٠٠٠ يهودي.

انتهت حرب سنة ١٩٤٨ بين العرب واليهود بقيام دولة إسرائيل وأدّت الحرب وجود نحو مليون لاجئ ليسوا فقط عرباً فلسطينيين بل أيضاً فلسطينيون آخرون غير يهود كالأرمن والأكراد إلخ...

وفي البداية، نصّ الموقف الإسرائيلي الرسمي على أنّ العرب قد غادروا بيوتهم بملء إرادتهم أو عبر تشجيع الدول العربيّة، ولذا لم يكن لإسرائيل من مسؤولية نحوهم. أمّا الآن، فقد فُضحت هذه الحجّة بشكل تام ولا تُستخدم تقريباً. وفي الحقيقة، حتى المؤرّخون الإسرائيليون الحاليون يعترفون بأنّه كان هناك سياسة مدروسة وخطة عمل عسكرية لإجبار السّكان العرب الأصليين على الرحيل **خطة دالت**. وقد مثّل اللاجئون عبئاً ثقيلاً على الدول المجاورة ورفضت إسرائيل وما زالت ترفض السماح لأيّ عددٍ مهم منهم بالعودة إلى بيوتهم على الرغم من قرار الأمم المتّحدة سنة ١٩٤٧ الذي أصدرته الجمعية العامة (الرسم التوضيحي التالي).

وحتى سنة ١٩٧٤، كانت جميع الدول العربية المجاورة لإسرائيل في حالة حرب معها. وأدّى توقيع معاهدة بين مصر وإسرائيل إلى خرق الموقف القائل «لا حرب ولا سلم» والمقاطعة العربيّة الإقتصاديّة والسياسيّة لإسرائيل. وكانت هذه الدول العربيّة تتمنى أن تعزل إسرائيل وتجبرها على العودة إلى حدود خطة الأمم المتّحدة وأن تسمح إسرائيل بعودة اللاجئين الفلسطينيين. وفي الواقع، فقد أنهت كل من الاتفاقيّة الفلسطينية الإسرائيليّة والمعاهدة الأردنية الإسرائيليّة، التي تمّت لاحقاً، حالة الحرب من دون أن تحلّ الصراع. لقد ربحت إسرائيل وأوصلت جميع الحروب مع العرب إلى طريق مسدود. وبالإضافة إلى ذلك، تملك إسرائيل ترسانة نوويّة كبيرة ووسائل نقلها وهي كافية لتغطي العالم العربي بأكمله على الأقل. إلاّ أنّها تتصرف كما لو أنّها تحت تهديدٍ مستمر. لم تعترف إسرائيل بترسانتها النوويّة العسكرية أبداً على الرغم من أنّ لا أحد يشكّ بها، ولم تنضم إلى معاهدة منع الانتشار النووي.

لقد عاملت إسرائيل الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلّة بأساليب وضيعة، فصادرت أراضيه وهدمت آلاف المنازل وخطّطت لمحاولات اغتيال من دون أيّ اهتمام لقتل الأبرياء، وهذا ما أدّى إلى تدمير أي فرصة حقيقية للسلام مع العرب. ومؤخراً أخذت إسرائيل تبني جداراً عازلاً هائلاً على أراض عربية مصادرة في الضفّة الغربيّة. وحين يكتمل هذا الجدار لن يؤدّي إلى مصادرة مساحات كبيرة من الضفّة الغربيّة فقط، بل لن يترك للعرب أكثر من نسبة صغيرة من فلسطين الأصليّة مقسّمة إلى إقاليم صغيرة غير متصلة وهذا ما يجعل قيام دولة فلسطينيّة عربيّة أمراً غير وارد.

لا يمكن أن يؤدي هذا العمل إلّا إلى نتيجة واحدة وهي أنّ إسرائيل لا تريد السلام مع العرب في الوقت الحالي، مهما كان الثمن. فسيستنتج أيّ شخص يقرأ كتاب **الحائط الحديدي** للبروفسور آفي شليم أنّ محاولة إسرائيل إضعاف الفلسطينيين الأصليين غير اليهود إلى أقصى حد ممكن **هي حركةٌ** سياسيةٌ غير معلنةٍ للحركة الصهيونيّة بأكملها من حزب اليسار المتشدّد إلى حزب اليمين المتشدّد، أو حتى قبل قيام دولة إسرائيل. وهذا لن يفسح مجالاً أكبر للهجرة اليهوديّة فقط بل سوف يؤكّد أنّ اليهود لن يصبحوا أقليّة في إسرائيل نتيجة النمو السّكاني العربي الذي يفوق اليهودي سرعةً بسبب ارتفاع نسبة المواليد عند العرب. وحتى بلوغ تلك المرحلة، لن ترغب إسرائيل بتسوية دائمة مع العرب (أنظر الفصل ٨).

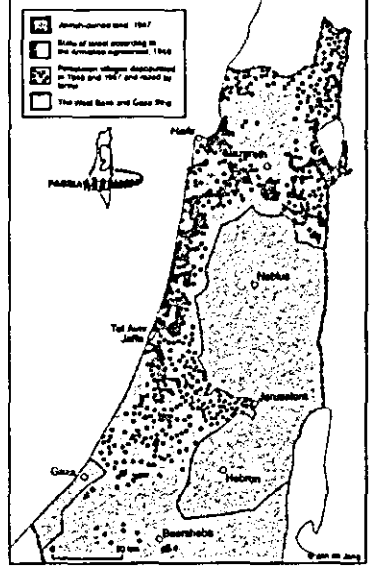
وقد صرّحت غولدا مائير، وزيرة خارجيّة إسرائيل في حينه في مجلّة **الصانداي تايمز** في ١٥ حزيران من عام ١٩٦٩ بأنّه «ليس هناك ما يُدعى فلسطينيين. وكأنّه لم يكن هناك فلسطينيون يعيشون في

فلسطين وأتينا وطردناهم وأخذنا منهم بلدهم. فلم يكن هناك من وجود لهم». (**صانداي تايمز** في ١٥ حزيران من عام ١٩٦٩).

ويُذكر أن «في عام ١٨٩٥، بلغ مجموع سكان فلسطين ٥٠٠,٠٠٠ نسمة وكان منهم ٤٧,٠٠٠ من اليهود الذين امتلكوا ٠,٥٪ من الأرض».

قرى فلسطينية حرمت من سكانها في عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ ودمرتها إسرائيل

Palestinian Villages Depopulated in 1948 and 1967, and Razed by Israel

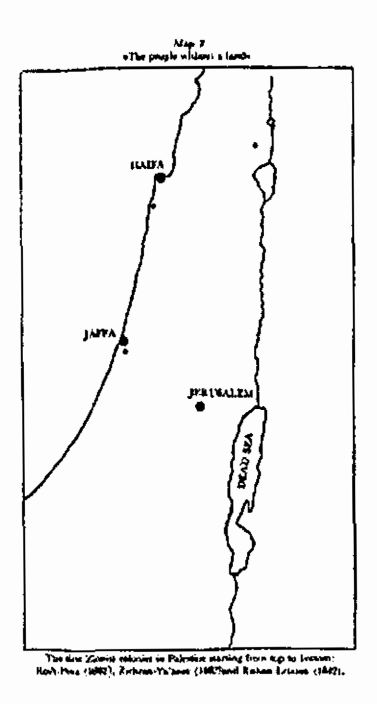


ملكيات الأراضي في فلسطين وخطة الأمم المتحدة للتقسيم عام ١٩٤٧

Landownership in Palestine and the UN Partition Plan, 1947

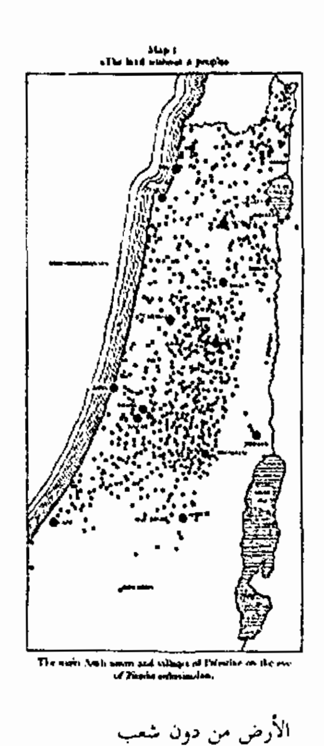
Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs (PASSIA)

الأكاديمية الفلسطينية لدراسة الشؤون الدولية



شعب من دون أرض

أولى المستعمرات الصهيونية في فلسطين من الأعلى إلى الأسفل روش بيتا (١٨٨٢)
ياكوف تيخرون (١٨٨٢)
ريشون لتسيون (١٨٨٢)



الأرض من دون شعب

المدن والقرى العربية الفلسطينية الرئيسية عشية الاستعمار الصهيوني

والسؤال الذي يتعيّن طرحه هو لماذا قد يرغب أي شخص في القرن الواحد والعشرين أن يعيش في دولة لا يسودها سوى دين واحد؟

٥

شرّ الجنس البشري

أ ـ الإرهاب

«ورأى الرّب كم كثر شرّ جميع الناس في الأرض وكم أصبحت أفكارهم شريرة طوال الوقت، فشعر بالأسى لأنّه خلق البشر وأنزلهم إلى الأرض»

سفر التكوين (٦) التوراة

يبلغ عمر الفظائع الإنسانية عمر الإنسان ولا يسلم منها عرق أو لون أو عقيدة. والأمثلة المذكور هنا هي فقط بعض من هذه الأعمال الوحشيّة. فأوّل هذه الأعمال التي تتبادر إلى الذهن وأكثرها شهرة في العالم الغربي هي كلمات التوراة الشهيرة حين أصدر ملك مصر أمراً لجميع شعب أرضه فقال، «خذوا كل مولود عبري ذكر وارموه في النيل ولكن لتحيا جميع الفتيات».

ونقل إسرائيل شمير في عام ٢٠٠١ عن عالم الآثار الإسرائيلي روني ريخ قوله، «**في عام ٦١٤ ميلادي، ارتكب اليهود الفلسطينيون المحليون وحلفاؤهم الفرس الذين احتلوا فلسطين محرقة هائلة في وثنيي فلسطين وذلك أثناء فتحهم للأرض المقدّسة. فقد ارتكب اليهود مذابح بحق ٦٠,٠٠٠ فلسطيني مسيحي في القدس وحدها. وبلغ عدد سكان الأرض في ذلك الوقت حوالي ٥٠ مليون نسمة أي أقلّ بمئة مرّة من عدد سكان الأرض اليوم**».

وبعد مرور ألف وخمسمائة سنة قام الأوروبيون بارتكاب عمل آخر من أعمال الإرهاب مجدداً وباسم الدين على يد القوى الصليبيّة الفرانكيّة في سورية. وكتب المؤرخ الأخباري رودولف كاين في هذا الموضوع، «**عمدت القوات الفرانكيّة في مارا، وهي مدينة تقع شمالي سورية، إلى غلي وثنين (أي مسلمين) بالغين في أواني للطّبخ، ووضعت الأطفال على أسياخ للشوي والتهمتهم مشويين**». وقد ذكر أسامة بن منقذ، وهو **أمير قلعة شيزر على العاصي** ومؤرخ أخباري في ذلك الوقت، هذه الحادثة في كتاب الإعتبار وعلّق قائلاً: «**سبحان الخالق الباري إذا خبر الإنسان أمور الافرنج سبح الله وقدسه ورأى بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير، كما في البهائم فضيلة القوة والحمل**».

وبعد مرور فترة وجيزة، في منتصف القرن الثالث عشر وخلال الغزو المغولي، هاجم هولاكو، وهو حفيد الفاتح المغولي جنكيز خان، العراق وقتل ثمانين ألف شخص بمن فيهم النساء والأطفال وأحرق المناطق المحيطة ببغداد. واستثنى هولاكو المجتمع المسيحي في المدينة نوعاً ما بسبب تأثّره الشديد بالمسيحيّة

لأنّ أمّه وزوجته وأقرب أصدقائه كانوا أعضاء في الكنيسة النسطورية.

ومنذ منتصف القرن الخامس عشر وحتى بداية القرن التاسع عشر، نشرت أشكال أخرى من الجرائم التي ارتكبت باسم الدين خوفاً مروّعاً في جميع أنحاء أوروبا بل وأكثر من ذلك في إسبانيا. فقد هدف التحقيق القضائي الإسبانيّ الذي أنشئ في سيفيل في عام ١٤٧٨ إلى تطهير الأمّة المسيحيّة من الزنادقة. وكان هدفه الرئيسي معاقبة اليهود والمورس (المسلمين) الذين زعموا بأنّهم قد اعتنقوا الكاثوليكية ولكنّهم استمروا بممارسة أديانهم السابقة سراً. واستُخدمت أشكال عديدة من التعذيب وما أن اعترف المتهمون، حتى حُكم عليهم بالإعدام وأحرقوا أحياء. وقد انتهى هذا التحقيق في عام ١٨٠٨ وكان منهجاً للتطهير الديني. كما أنّه أدّى إلى موت أكثر من ٣٤٠,٠٠٠ شخص وإلى الهجرة الهائلة لـ ٢٠٠,٠٠٠ إسباني غير مسيحي.

وتستمر لائحة المذابح التي تُرتكب بحق شعوبٍ مختلفةٍ ولأسبابٍ مختلفةٍ. ففي شهر نيسان من عام ١٩١٥، شرعت الميليشيات الكردية بموافقة الحكومة العثمانية بالتّدمير المنهجي لسكانها المدنيين الأرمن. واستمرت الاضطهادات بحدّة متفاوتة حتى عام ١٩٢٣ حين لم يعد هناك من وجود للإمبراطورية العثمانية وحلّت مكانها الجمهورية التركيّة.

وقد أفيد في عام ١٩١٥ بأنّ عدد الشعب الأرمني في الأمبراطورية العثمانية بلغ حوالى مليوني نسمة، هَلكَ منهم ما يقدّر بنحو مليون بينما أصبح مئات الآلاف من المشرّدين واللاجئين غير الرّسميين. ومع حلول سنة ١٩٢٣، اختفى الشعب الأرمني

تقريباً من الأناضول بأكمله. ومن المثير للاهتمام أن تكون هذه المذبحة هي الأكثر شهرة التي ارتُكبت على يد المسلمين.

وفي القرن العشرين، وخلال الحرب العالمية الثانية وبقيادة النظام النازي، شهدت أوروبا إحدى أسوأ المذابح في تاريخها. وعُرفت هذه المذبحة بالمحرقة وكانت هذه الإبادة الجماعية مسؤولة عن موت ملايين اليهود بالإضافة إلى العديد من الشيوعيين المسيحيين والغجر وآخرين بعضهم من العرب اعتبرهم النازيون كأنصاف بشر كالمتخلفين عقلياً ومثلي الجنس. غير أنّه إحصائياً، وقعت أعظم جميع هذه المجازر في روسيا أثناء حكم جوزيف ستالين الإرهابي الذي بدأ في أوائل سنة ١٩٣٠ وانتهى بموته في سنة ١٩٥٣. وقد أعدم ستالين مئة مليون شخص على الأقل بسبب الاختلافات السياسيّة وتمّ ترحيل ٩,٥ مليون شخص توزّعوا ما بين المنفى والسجن في معسكرات العمل. وتشير بعض التقديرات إلى أنّ عدد الذين تم ترحيلهم بلغ ثمانية وعشرين مليوناً (٢٨) بمن فيهم (١٨) ثمانية عشر مليوناً أُرسلوا إلى معسكرات عمل قسريّة. ومن المعتقد أن يكون جزء كبير منهم قد لاقى حتفه.

وفي أفريقيا، بدأت المذابح الرواندية في شهر نيسان من عام ١٩٩٤ بعد أن أُسقطت طائرة تقلّ رئيسي رواندا والبوروندي. وقد انتمى الرئيسان إلى قبيلة الهوتو فنشر المتعصبون الوطنيون الهوتيون الاضطراب في رواندا مستخدمين البث الإذاعي ومحرضين الهوتيين على «ملء القبور النصف فارغة» بالتوتسي. أدّى هذا القتال العرقي في رواندا إلى مذبحة ذهب فيها ما لا يقل عن المليون من التوتسي في عشرة أسابيع فقط وفرّ أكثر من مليون من الهوتو إلى زائير وتنزانيا والبوروندي. وزاد من سوء هذه

المذبحة الصّمت التام للدول الأميركيّة والأوروبيّة فضلاً عن الحكومات العربيّة والشرق أوسطيّة، التي شبكت أيديها (ولم تحرّك ساكناً) بينما هرعت الجمهوريات السوفياتيّة السابقة لتزوّد الطرفين، أي الهوتو والتوتسي، بالأسلحة بأسعار مربحة.

ونواصل العد: فقد حدثت إحدى أسوأ مجازر القرن العشرين في كمبوديا بقيادة حزب الخمير الحمر الشيوعي حين قتل بول بوت وأتباعه نحو مليوني كمبودي. وقد بدأت هذه المجزرة في شهر نيسان من عام ١٩٧٥ واستمرت حتى شهر كانون الأول من عام ١٩٨٧.

ومن بعدها، وقع هجوم كيميائي وحشي في ظلّ حكم صدام حسين في مدينة حلبجة الكرديّة في شمال العراق في السابع من آذار من عام ١٩٨٨. وقد انطوى هذا الهجوم على استخدام غاز الخردل فقتل ٥,٠٠٠ من سكان المدينة الذين بلغ عددهم ٧٠,٠٠٠ وشوّه العديد الآخرين.

وفي الآونة الأخيرة، نفّذت جماعات شبه عسكريّة عربيّة تدعمها الحكومة السودانية أعمالاً وحشية ضد الأفارقة السود في منطقة غرب دارفور في السودان وشجّعها الشمال المسلم. وقد اتّهم المجتمع الدولي ومجلس الأمن في الأمم المتّحدة الحكومة السودانية بمساعدة الميليشيات العربيّة.

وليس هناك من حدٍّ لقائمة الفظائع البشريّة التي تغطّي كلّ منطقة في العالم بما فيها أميركا الجنوبية وجمهورية يوغوسلافيا السّابقة والصين ودول أخرى. وخشية من أن يسيء القارئ فهمنا، لم ينس كاتبا هذا الكتاب الفظائع التي تحدث في الشّرق الأوسط

نتيجة الصراع العربي الإسرائيلي. لكن سوف يتم تناول هذه الأعمال الاستثنائية بعناية فائقة في أقسام أخرى من الكتاب.

ب ـ انتحاريون أو مقاتلون في سبيل الحرية

«عندما تبدأ بهدم المباني بالجرافات، لا يتوقع من الناس أن يستجيبوا لهذا النوع من النشاط. وحين تبدأ بالإعلان عن المزيد من أنشطة الإستيطان، لا يهيئ هذا أيضاً ظروفاً ملائمة ليكون الطرف الآخر أقلّ استجابة أو عنفاً».

[نقلتها **جريدة هآرتس** عن كولن باول، سكرتير الدولة في الولايات المتحدة، يوم الإثنين في ١٦ حزيران من عام ٢٠٠١]

فالانتحاريون والإرهابيون الانتحاريون والمقاتلون في سبيل الحرّية هي أسماء مختلفة تشير إلى الشخص أو الأشخاص الذين يقتلون أنفسهم عمداً بينما يقومون بقتل عدوهم. وهذه الظاهرة قديمة قدم التاريخ نفسه. ولعلّ أوّل انتحاري قاتل مشهور هو شمشوم الجبّار.

إنّ القتل الانتحاري الذي حدث خلال الحرب العالمية الثانية حين حطّم طيارون يابانيون انتحاريون طائراتهم في سفن العدو هو مثال حي على هذه الظاهرة. وقد استهدف هؤلاء الطيارون مواقع عسكريّة. وبدأ العصر الحديث للتفجير الانتحاري في لبنان في عام ١٩٨٣ حين هاجم عضو في الجهاد الإسلامي السفارة الأميركيّة في بيروت مستخدماً حمولة شاحنة من القنابل فقتل ٦٣ شخصاً. وفي شهر تشرين الأول من عام ١٩٨٣ ضربت شاحنة

محمّلة بالمتفجرات مراكز قيادة قاعدة الولايات المتّحدة البحريّة فقتلت ٢٤١ جندياً وسائق الشاحنة.

وكانت لولا عبود من أوائل الانتحاريين الذين هاجموا القوات الإسرائيليّة في لبنان ـ وهي فتاة مسيحيّة تنتمي إلى الطبقة الوسطى وتبلغ تسعة عشر عاماً ـ فجّرت نفسها أمام جنود إسرائيليين في لبنان في عام ١٩٨٥. ومنذ ذلك الوقت، استخدمت جماعات متعدّدة حول العالم هذا التكتيك ولا سيّما منظمة حماس في المناطق المحتلة وفهود التاميل للتّحرير في سيريلانكا. وبالإجمال، فقد سُجّلت حوالي ٦٠٠ هجمة انتحارية حول العالم (الجدول التالي)، ولا يشمل هذا السّجل الانتحاريين في العراق في الآونة الأخيرة.

رائدو هجمات انتحارية ١٩٨٠ ـ ٢٠٠٤

الجماعات العسكرية	البلد	عدد الهجمات
فهود تاميل	سيريلانكا	٧٥
حماس	إسرائيل / فلسطين	٦٣
جماعة المقاومة العراقيّة	العراق	٥٩
لواء شهداء الأقصى	إسرائيل / فلسطين	٤٤
انفصاليو الكشمير	الهند	٣٢
حزب الله	لبنان	٣٠
القاعدة	حول العالم	٢٠
الجهاد الفلسطيني الإسلامي	إسرائيل / فلسطين	١٩
انفصاليو الشيشان	شيشينيا / روسيا	١٦
حزب العمال الكردستاني	تركيا	٩

إنّ العوامل التي تؤمّن المحيط المناسب للانتحاري لتنفيذ عمله هي موضوع لكثير من النّقاش بين علماء النفس وعلماء الاجتماع وخبراء الإرهاب، لكن ليس هناك من نظرية تستطيع أن تقدّم تفسيراً وافياً للدوافع التي تقف وراء هذه الأعمال. إنّ نظرية الكارثة هي افتراضٌ مشهورٌ تبوّأ مركزاً مرموقاً بسبب بساطته وتسلسله المنطقي. وقد دُرست هذه النظرية بعناية منذ حوالي عشرون عام ووضعت لها نماذج رياضيّة. وببساطة، تفترض النظرية وجود حدٍّ لاستقامة الاستجابة لمتغير. فإذا مددت شريطاً من المطّاط على سبيل المثال، فكلما مددته أكثر خزّنت طاقة أكثر فيه. وتستمر هذه العملية إلى حد معين فقط أي حين ينقطع الشريط المطاطي وتضيع جميع الطاقة المخزونة. ويكاد أن يكون من المستحيل تنبؤ النقطة الدقيقة التي سينكسر فيها الشريط لأنّه من الصعب جداً معرفة الضعف النسبي لجميع النقاط الحسّاسة.

وجدت هذه النظرية تطبيقها في علم الأحياء ودراسات الحيوان السلوكيّة. ومثال على ذلك هو أنّه لو أراد شخص أن يهدد كلباً، فعلى الأرجح سوف يخيفه أو يروّعه. وكلّما زاد الشخص من التهديدات، سوف يرتعب الكلب أكثر حتى بلوغ النقطة التي سيكون على الكلب إمّا أن يهرب وإما أن يهجم ويعضّ. ومرّة أخرى، فسيكون من المستحيل التّنبؤ بأي من الكلاب سوف تهرب وأيّ منها سوف تعضّ، ولكن حين نهدّد عدداً كبيراً من الكلاب وعلى عدد كبير من المرّات، فيجب أن يكون المرء على يقينٍ بأنّه سيعضّ واحد من هذه الكلاب على الأقل معذّبه.

وينطبق هذا على البشر بالقدر نفسه لأنّه سلوك بيولوجي أساسي. فحاول أن تذلّ أو تعذّب أو تفقر البشر وكن متأكداً من أنّ

بعضهم سوف يتصرّف على نحوٍ طائشٍ أو إجرامي. ويتناسب هنا استخدام كلمة «مجرمون». لم يولد هؤلاء الأشخاص هكذا أو درسوا ليتصرفوا هكذا. لكنّها ردّة فعل على المعاملة التي تلقّوها. وشمشوم الجبّار هو مِنْ أقدم الانتحاريين في التاريخ. وتسرد التوراة أنّه انتحر حين قتل بضع الآف من الناسِ في بيت للعبادة. وتخبرنا التوراة أيضاً لماذا فعل ذلك. فقد أُلقيَ القبض عليه وتعرّض للإذلال وقُيّد بالأغلال وأعميَ بصره. وكان هذا اليأس الشديد هو الدافع الرئيسي الذي قاده إلى هدم المعبد على نفسه وعلى الآخرين. ومن المثير للاهتمام أن نتذكر أنّه في ذلك الوقت لم يؤمن الإسرائيليون بالجنّة والنار ولذا لم يكن شمشوم يأمل في مكافأة في الجنّة وفي الآخرة عندما قام بهدم أعمدة المعبد. ويختلف هذا التفكير عن بعض المسلمين الانتحاريين الذين قد يؤمنون بأنّ العمليات الانتحارية قد تكون سبباً إضافياً لدخول الجنة.

لقد وُضعت نظريات أخرى تناولت ظاهرة التفجيرات الانتحاريّة. وعلى الرّغم من الاعتقاد السائد بانتماء معظم الانتحاريين إلى طبقة اجتماعية فقيرة وبأنّهم لم ينالوا قدراً كافياً من التعليم، لم يعثر علماء النفس والأنثروبولوجيا للبحوث أيّ على إحصائيات مقنعة لدراسة هيمنة هذا الاعتقاد. وقد قام روبرت بايبس، وهو أستاذ العلوم السياسيّة في جامعة شيكاغو، بتجميع بيانات لمئة وثمانين (١٨٠) هجمة انتحارية ارتُكبت منذ عام ١٩٨٠ إلى عام ٢٠٠١ وعجز عن إيجاد أيّ صلة مباشرة بين الهجمات الانتحاريّة والتشدّدية الدينيّة. إنّ قياديي مرتكبي الإرهاب الانتحاري، من فهود التاميل، هم مجموعة ماركسيّة لينينيّة ينتمي أعضاؤها إلى الديانة الهندوسيّة ولكنهم هم أنفسهم معادون للدين.

لكن مع تنظيم القاعدة أو حماس أو غيرهما من الحركات الأصوليّة الإسلاميّة المتطرّفة، يجب الأخذ في الحسبان التلقين الديني كسمة هامة في هذه التنظيمات. فالدّعاية الدينيّة وخاصة الوعد بدخول الجنّة على وجه التحديد، هي من الأساليب المستخدمة لإعداد المجندين للقيام بمهام انتحاريّة. فالمهام الانتحارية وخاصة خلال شهر رمضان المبارك، شهر الصوم والصلاة عند أغلب المسلمين، تضيف شرفاً ومفخرةً للمهمّة.

وفي فترة احتلال قوات التحالف، أكّد الانتحاريون في العراق الطبيعة المعدية لهذا العمليات. ومن الصّعب تصور كارثة أسوأ للعلاقات العامة لقوات الائتلاف الأميركية من صورة الجنود الأميركيين وهم يسيئون معاملة السجناء العراقيين في السجن نفسه حيث قام سفاحو صدام حسين بتعذيب العراقيين. وفي هذه الحالة بالذات، استخدم الإرهاب الانتحاري الذي نراه في المناطق الفلسطينية المحتلة كرادعٍ قوي لإقناع المحتل بالانسحاب من أرض ليست ملكاً له. وفي الواقع، يميل العديد من المسلمين إلى رؤية العالم الإسلامي بأسره كمنطقة خاصة بهم ويعتبرون أي وجود أجنبي على أرضهم احتلالاً. وهذا الإيمان يفسّر سبب استهداف المتطرفين لكلّ من يتحالف مع المحتل، كما هي الحال في العراق حيث يتم استهداف قوّة الشرطة العراقية التي شُكلت حديثاً، والعاملين في شركات أجنبية في العراق.

وأخيراً، هناك بعض التشويش فيما يخص تعريف كلمة إرهابي أو مناضلٍ في سبيل الحرّية. ويعتمد هذا التعريف على الشخص الّذي يُسأل عن معنى هذه الكلمة والوقت الذي يُسأل فيه. فقد اعتقد الثوريون الفرنسيون حين ابتكروا مصطلح «إرهابي» في عام ١٧٩٠

باحتوائه على دلالة إيجابيّة. فالإرهاب هو تكتيك حربي أما «القتال في سبيل الحرية» فهو دافعٌ. يشارك المقاتلون في سبيل الحرية في التمرّد المسلّح أو الدفاع ضد الحكومة الاستبداديّة. ويقول الخبراء أنّه إذا أراد شخص أن يطلق تسمية «إرهابي» أو «مقاتل في سبيل الحرية» على جماعة معينة يعتمد على ما إذا كان هذا الشخص يعتقد بأنّ غاية هذه الجماعة تبرّر وسائلهم العنيفة. وهذا الوصف المتضارب للعنف هو سمة مميزة للسياسات الدوليّة. تستخدم الشعوب والحكومات المختلفة مصطلحات متنوّعة لتصف عمل العنف نفسه، فيشرّعه بعضهم ويصفه الآخرون بالعمل إرهابي.

والجدير بالذكر أنّه في وقت من الأوقات في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، اعتُبرت الحركات العلمانية بين الفلسطينيين بكونها تهديداً رئيسياً لإسرائيل ولهذا فقد تمّ اعتبارهم أعداء للولايات المتّحدة. وكان الدكتور جورج حبش وهو طبيبٌ مسيحيّ ورئيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وزميله الدكتور وديع حدّاد، وهو أيضاً طبيبٌ ومعروفٌ باختطاف الطيارات، العدوّين الرئيسين لإسرائيل وأميركا. وفي ذلك الوقت، ظنّت هاتان الدولتان أنّ الإسلام هو دين سلبي يدعم الحركات الإسلامية التقليديّة. ونشأ من هذه الحركات الإسلاميّة ذاتها تنظيما حماس والجهاد الإسلامي بالإضافة إلى تنظيم القاعدة بقيادة بن لادن الذي تدرّب وتسلّح ودُعم من قبل حكومة الولايات المتّحدة أثناء قتالها ضد السوفيات **في أفغانستان**. وأصبحت جميع هذه المنظمات أقوى من أسلافها العلمانيين.

ويُوصف انتحاريو فلسطين كإرهابيين في كلٍّ من إسرائيل والولايات المتّحدة الأميركيّة فيما يرى العديد من العرب

والمسلمين وبعض الأوروبيين هجماتهم كجزءٍ مشروع من نضال المقاومة الفلسطينية ضدّ الاحتلال. ويمكن أن يصنّف الشخص نفسه كمقاتل في سبيل الحريّة في وقت ما وإرهابي في وقتٍ آخر. ومن الأمثلة المثيرة للقلق هو ذلك الذي يتناول أسامة بن لادن وطالبان اللذين اعتبرتهما الولايات المتّحدة مقاتلين في سبيل الحرية حين كانا يقاتلان الغزو السوفياتي لأفغانستان وتسلّحا وتدرّبا على يد وكالات الولايات المتحدة بينما يعتبرهما العالم اليوم قادة الإرهاب في العالم.

ومؤخراً أيضاً، اقترنت كلمة «إرهاب» بالإسلام وهذا سوء فهم خطير للدين الإسلامي. ولسوء الحظ، فما يحدث في إعلام الولايات المتحدة في الأغلب هو أنّه كلّما ارتكب مسلمٌ عملاً شنيعاً، يُصنّف «كمسلم إرهابي» . ومن ناحية أخرى، حين يفجّر شخصٍ غير مسلم قنبلة في منطقة حضرية أو يهاجم منزلاً للعبادة أو يقتل أناساً أبرياء، فلا تُنسب هذه الأفعال إلى دين الجاني. وفي الحال، تتبادر إلى الأذهان حالتان عن هذا التناقص في المصطلحات لدى وسائل الإعلام الأميركي. وهاتان الحالتان هما تيودور كازينسكي وتيموثي ماكفي (Unibomber) اللذان أرهبا الولايات المتّحدة في السنوات الأخيرة قبل أن يتمّ القبض عليهما. ولم يطلق أحد على أي من هذين الرجلين تسمية «إرهابي مسيحي». وفي الواقع، من النادر أن تُستخدم كلمة «إرهابي» في كلتا الحالتين في وسائل الإعلام الأميركي.

٦

الثقافة والعلم والتكنولوجيا العربية الماضي والحاضر

أ ـ إسهامات العرب في المعرفة

لقد بُنيت جميع الحضارات على أنقاض تراث حضارات أخرى فطوّرتها ونادراً ما أنتجت شيئاً جديداً تماماً. فقد بُنيت الحضارة اليونانيّة على أنقاض التراث المصري القديم بينما تلقى الرومان قدراً كبيراً من اليونان والفرس. وكانت التكنولوجيا الأميركية بشكل أساسي توسّعاً للتطورات الأوروبيّة. ولا تُستثنى من ذلك الإسهامات العربيّة إلى العالم. وقد اعتمد الاقتصاد والحضارة العربيّة بشكلٍ رئيسي على تطوير أكثر أنظمة النقل والاتّصال فاعلية. واعتمد نظام النقل على الجمل والإبحار عكس الريح بينما اعتمد نظام الاتصال على شبكة متكاملة من الخدمات البريدية المرحلية ومنظومة نقل الحمام الزاجل ونظام إشارة النار. (القلقشندي، **صبح الأعشى**) (انظر في الفصل الثاني).

حتى الوقت الذي حدثت فيه الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر، كان العالم العربي امتداداً من إسبانيا إلى العراق المركز الفكري والعلمي في العالم بلا منازع وحضارته الأكثر تقدماً. فإسهامات العرب في الحضارة الحديثة لا تحصى ولا تعد. ولعلّ من أهم هذه الإسهامات بالنسبة للغرب الحفاظ على أعمال اليونان وأعمال الفرس والهنود وغيرهم في الفلسفة والعلوم والرياضيات والطب وعلم الفلك عبر ترجمتها إلى اللّغة العربيّة ويرجع الفضل إلى الخليفة العباسي المأمون الذي كان رجل فكر شديد التعلّق بترجمة الأعمال اليونانيّة وهذا ما استطاع تحقيقه من خلال المترجمين المتعددين الذين كانوا تحت تصرّفه. وقد اختفت الإنجازات السابقة لحضارات أقدم وأكثر أهمية كالفارسيّة والكلدانيّة والآشوريّه والبابليّة والقبطيّة من دون أن يلاحظها أحد بسبب عدم وجود ترجمة لها.

لم يكتف العرب بترجمة تلك النصوص القديمة بل قاموا بتطوير أفكار عديدة في حقول متنوعة وقيموها بعين ناقدة. ويصحّ هذا في حالات الفلسفة والطب وعلم النبات ومجالات أخرى متعدّدة. هناك كلمات في اللغة الإنكليزيّة ذات الأصول العربي خاصّة الكلمات التقنية بدءاً بكلمة «أميرال» إلى كلمة «ذروة».

ومن الإسهامات العربية الأخرى ما يلي:

١- تقديم الورق إلى العالم وتطويره: في سنة ٧٨٠ ألقى العرب القبض على بعض الجنود الصينيين في معركة في أفغانستان. وحين اكتشف العرب أنّ الصينيين قد عرفوا كيفية صنع الورق، أقنعوهم بإنشاء أوّل معمل للورق خارج الصين، وبهذا فقد كسر العرب الاحتكار الصيني لصناعة الورق الذي دام لـ ٧٠٠ سنة.

وقبل انتهاء القرن التاسع، انتقلت هذه التكنولوجيا إلى بغداد حيث تمّ إنشاء أكبر معملين للورق في العالم. واستطاعت هذه المصانع أن تتميز باستخدام القوّة المائية لإنتاج العجينة الورقية بدقّها ميكانيكياً لا يدوياً. وسرعان ما انتشرت هذه الطريقة الفنيّة في جميع المدن العربيّة الكبيرة حتى وصلت إلى المغرب في عام ١١٠٠ وإسبانيا في عام ١١٥١. وحتى القرن الخامس عشر، لم يُصنع الورق ذو النوعية الجيّدة إلا في العالم العربي. وأنتج تعميم الورق ثورة في انتشار المعرفة لا تقل أهميّةً عن ثورة تكنولوجيا المعلوماتية الحديثة. وهذا ما جعل الطباعة ممكنة ومواد الكتابة الجيّدة رخيصة. وأدّى تعميم الورق إلى توسّع في المعرفة البشرية.

٢- معيار المال: وبسبب اقتصاد العرب الذي يعتمد على التجارة بشكل كبير، فقد اضطروا إلى تحويل العملات الذهبيّة إلى معيار جديدٍ أرفع في الوزن والنقاء. وقد كان وزن ونقاء الدينار الأموي، الذي صُكّ لأول مرّة في عام ٦٩٧، ضمن حدود الواحد بالمئة في الوزن والنّقاء واستمر التداول فيه حتى بعد انهيار الإمبراطورية الأمويّة بفترة طويلة. **ويعرف القيراط في القواميس العربية بأنه واحد من أربعة وعشرين من وزن الدينار الأموي أو ما نقاوته، وهذا ينطبق على القيراط المستعمل للوزن (٢) وللنقاوة (١٢) للذهب والمعادن.**

نُسخَت العملات العربيّة في أوروبا، وفي القرن العاشر صكّت عملة ذهبيّة في إنكلترا تحمل كتابة عربيّة شبيهة بتلك المطبوعة على الدنانير العربيّة ومن الأرجح أنّها هدفت إلى إظهار النوعية الجيدة للذهب الذي استُخدم في صكّها.

٣- النباتات: وبالإضافة إلى تحديد بضع مئات النباتات الطبّية

والحفاظ على المعارف اليونانيّة والفارسيّة والهندوسيّة عن طريقة استخدام هذه النباتات، كان العرب مسؤولين عن نقل النباتات التجارية كالقطن وقصب السكر وأشجار الحمضيات في جميع أنحاء إمبراطوريتهم. كذلك استُقدمت نباتات طبيّة مهمّة ومتعدّدة من مناطق بعيدة كالصين والهند الصينية إلى الشّرق الأوسط وفي نهاية المطاف إلى أوروبا.

٤- الرياضيات: إنّ مصدر الأرقام العربيّة واستعمال الصفر هو هندي في الأصل، وقد نشرهما العرب في العالم. غير أنّ علم الجبر كان في الأصل تطويراً عربياً صافياً.

٥- تتصل علوم الفلك والملاحة والجغرافيا ببعضها البعض. وقد طوّر العرب أدوات فلكية متنقّلة لتساعد في الملاحة. وكانت بعض الأدوات كالأسطرلاب وآلة السدس من أصل يوناني أو أصول أخرى لكن العرب قاموا بتحسينها، وكانت أدوات أخرى من أصلٍ عربي. وقد طوّر العرب التقويم الشمسي أيضاً حيث يمكن تحديد الوقت في السّنة من خلال شكل القمر وموقعه بين النجوم مما يُسمّى بمنازل القمر. وما زال الأجداد يستخدمون نسخة مبسّطة عن التقويم الشمسي وخاصة في المناطق الريفيّة وتأتي أسماء أكثر النجوم أهمية من اللّغة العربيّة.

٦- وفي الجغرافيا، قاس العرب محيط الأرض بدقّة لم يسبق لها من مثيل وانتجوا أفضل الخرائط وأفضل كتب الجغرافيا في تلك الحقبة. **ونُشر كتاب الإدريسي في الجغرافيا في روما وفي اللغة العربيّة في القرن الخامس عشر بعد حوالي أربعة قرون من تاريخ كتابته في الأصل.**

٧- الفولاذ: حتى القرن التاسع عشر، كان فولاذ دمشق الأفضل في العالم واستعمله الغرب لصنع السيوف والبنادق.

ب ـ التعليم

١ ـ الترجمة

بدأ تطوير الأعمال المترجمة باكراً في القرن الثامن حين قام المسيحيون واليهود على وجه التحديد بتنفيذ الترجمة المحترفة إلى اللغة العربيّة من اللغة اليونانية واللّغات الآراميّة والفارسيّة والهنديّة أيضاً. فهذه الترجمات والإضافات التي أجراها العلماء العرب عليها جعلت من العربيّة اللغة العلميّة الأساسيّة في العالم. وكتب البيروني، وهو عالم ورياضي، (توفي في عام ١٠٥١ ميلادي) أنّه لمّا تُرجمت العلوم من جميع أرجاء العالم إلى اللغة العربية نالت هذه العلوم الأناقة والجمال. وإذا نظر أي شخص في كتاب علوم كُتب في اللغة الفارسيّة، فسوف يعرف كيف فقد بريقه وأصبح عديم الفائدة.

٢- ومن بين الإسهامات الفكرية الأصليّة ما يلي

(أ) أعمال دينيّة موسوعيّة بدأت بالأعمال الدينية كتفسيرات القرآن ومجموعة أقوال النبي محمد (الحديث)[*]. وقد دُرست هذه المجموعات بدقّة للتّأكد من صحة نقلها، وتُعتبر مجموعتا

(*) الحديث (أي أقوال النبي محمد) هو قانون إسلامي استُخدم لتفسير القرآن ولتوضيح المسائل التي لم يرد ذكرها في القرآن الكريم.

البخاري و**مسلم** الأكثر شهرة بين المجموعات.

(ب) أتت المعاجم في عشرة **مجلدات** أو أكثر حيث وُثقت أصول الكلمات وتطوّر فوارق المعاني بالشّواهد. وتعتبر المعاجم العربية، كمعجمي **تاج العروس ولسان العرب**، أمثلة جيّدة. وتاريخياً، تتقدّم هذه المعاجم على معاجم مماثلة كُتبت باللّغات الأوروبية عبر ثمانية قرون من الزمن.

(ج) كانت السلاسل الزمنيّة التاريخيّة والتي أتت في أعداد متنوّعة شائعة جداً، وكانت تقتفي أثر التاريخ الإسلامي سنة بسنة وتدوّن الأحداث الهامة. وتُعتبر تواريخ **الطبري وابن الأثير وابن خلدون** الأكثر شهرة بين هذه السلاسل.

(د) مجموعات دليل الشخصيات: وضمّت هذه المجموعات مجموعة واحدة على الأقل لكلّ قرن إسلامي حيث ذكرت سيرة قصيرة عن جميع الشخصيات حتى من كان ذا أهمية هامشية، وفي بعض الأحيان بُحثت هذه السيَر بتمعّنٍ **وانتقاد.**

(هـ) وقد جُمعت أعمال موسوعية أخرى في العلوم المختلفة. ومن الأعمال اللافتة للانتباه كتاب **صبح الأعشى** كدليل لأمين السّر في خمسة عشر **مجلداً** كتبه القلقشندي في أوائل القرن الخامس عشر. وقد حمل هذا الدليل النظريّة الأولى في التشفير وحلَ التشفير وأولّ نظرية رياضيّة في الخط العربي.

وحتى منتصف القرن التاسع عشر، كان التّعليم الوحيد في العالم العربي كلاسيكياً بشكل رئيسي. وقد تألّف النظام التعليمي من الدراسة لسنوات عدة في الكتّاب؛ وهي مدرسة اتّخذت من

استراتيجيّة «التعلّم عن ظهر قلب» كطريقة متّبعة في التدريس وحيث درّست القراءة والكتابة والحساب. وقد تلا الكتّاب مرحلة التعليم الذاتي للبعض ومرحلة السفر للعلماء لإحراز تعليم أعلى.

كان التلامذة العرب المتفوقون يجوبون أرجاء العالم العربي لزيارة العلماء المشهورين. وفي العادة كان العلماء المشهورون يعلّمون في أركان محدّدة من المساجد الأكثر أهمية. وقد اعتاد التلامذة البقاء بالقرب منهم في غرف ملحقة بالمسجد، وتُغطى تكاليف مسكن ومجلس التلاميذ من خلال **الوقفيات** المنشأة والمخصّصة لهذا الغرض.

وبعد مرور أشهر أو أكثر في بعض الأحيان على حضور صفوف العلماء في المدينة، يمنح التلميذ شهادة من كل عالم. وتحدد هذه الشهادة الوقت الذي قضاه التلميذ معهم والكتب والمواضيع التي ناقشوها معاً ويعطون إجازة تسمح للتلميذ بالاقتباس عنهم. وما هو أكثر إثارة للاهتمام هو أنّ هذه الشهادة قد تضمنت أيضاً خلفيّة العالم العلمية وأسماء أساتذته وأساتذة أساتذته التي تمكن الأستاذ من تتبعها على أكبر قدر من الإمكان.

وفي منتصف القرن التاسع عشر، أدخلت التحسينات التي تسرّبت من التعليم الغربي إلى التّعليم العربي فقسّمت المدارس إلى ابتدائية وثانوية يتبعها التعليم الجامعي. ومن العوامل المهمة لهذا التحول هي:

أ - التحسينات في الحكومة العثمانيّة بما فيها النظام التعليمي.

ب - التحسينات المصرية في عهد محمد علي وخلفائه حيث

خدم التوغل النابليوني في مصر وسورية كحافز لها في مطلع القرن التاسع عشر.

ج - النشاطات الإرسالية للإنكليز في فلسطين ومصر والفرنسيين في سورية ولبنان والروس والألمان في فلسطين والأميركيين في لبنان وسورية.

وبالإضافة إلى المدارس ذات التركيبة الغربيّة، فقد أُنشئت الجامعات الغربية في مصر ولبنان (الأميركية والفرنسية) وفي الناصرة (الروسية). وبدأ نظام التعليم الكلاسيكي بالاختفاء بحيث لا نجده في يومنا هذا إلا في مناطق نائية جداً وإلى حدٍّ ما في الجامعات القديمة كالأزهر في القاهرة (وهي أقدم جامعة في العالم) وجامعة الزيتونة في تونس **وهذه الجامعات اقتبست الكثير عن الأنظمة الغربية.**

وفي نهاية الحرب العالمية الأولى، بدأت القوى المنتدبة بتزويد النظم التعليمية بما يتماشى مع مناهجها التعليميّة، فتبنّى المنهج الفرنسي في سورية ولبنان وشمال أفريقيا امتحانات الشهادة الرسمية أي البريفيه والبكالوريا. ووضعت قيد العمل كلٍ من الامتحانات الرسمية للمدرسة الابتدائية والشهادة الثانوية العامة البريطانية في مصر وفلسطين والعراق ودول الخليج.

ومع الاستقلال، توسّع التعليم في معظم الدول العربيّة بشكلٍ أفقي ليصل إلى المناطق النائية وبدأت نسبة الأمّية عند الأطفال بالانخفاض. وتركّزت الامتحانات الرسميّة في جميع هذه الدول وصولاً حتى بلوغ امتحان الثانوية العامة الذي يُسمى في العادة **امتحان توجيهي** فنافست البلدان العربيّة الامتحانات الفرنسيّة

والإنكليزيّة. ولكن لسوء الحظ بينما استمرت الامتحانات الفرنسيّة والبريطانيّة بالتطور بشكل جذري خلال السنوات الستين الأخيرة، بقيَ امتحان التوجيهي على حاله **يعتمد على الحفظ والإعادة فقط** ولم يُدخل عليه سوى تغييرات تجميلية فقط.

لكن مع ازدياد عدد الخاضعين لهذا الامتحان (الذي بلغ مئة ألف ممتحن في بعض الدول وبضعة ملايين كمجموع عام)، أصبح من المهم الحصول على مئات أو آلاف الأساتذة لتصحيح الإجابات. ولضمان تأمين العدل في التصحيح، كان من الضروري تعميم جوابٍ مثالي على المصححين ليتماشى مع إمكانيات الطلاب الخاضعين للامتحان. ولذلك كان الجواب المثالي مأخوذاً من الكتاب المخصّص للمادة.

كانت نتائج نظام الامتحان هذا مروّعة، على الرغم من أنّه كان من المفترض أن يضمن العدالة **ولو لم يضمن الإنصاف**؛ فقد استخدمت معظم الجامعات معدّل النّجاح المتوسط الذي حصل عليه الطالب في هذه الامتحانات (لتصل إلى جزء من النسبة المئوية) كالمعيار الوحيد لقبوله في مختلف ميادين الدراسة. وكان التأثير الرئيسي لهذا أنّه كان على التلميذ أن يحفظ الكتاب المخصص للامتحان عن ظهر قلب في السنتين الأخيرتين من المرحلة الثانوية. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانت النتائج التي أحرزها الطالب هي مقياس أداء المدرسة والأساتذة. وأدّى أسلوب الحفظ هذا إلى قمع أيّ محاولة للإبداع في الشباب الذين هم في سن التكوين، وامتد هذا القمع إلى مرحلة التعليم الجامعي.

وخلال العقود القليلة الماضية كان هناك طلب كبير على التعليم الجامعي. لم تستطع الجامعات الحكومية أن تلبي هذا الطلب

وأنشئت جامعات خاصة كثيرة وبمعايير مختلفة (بهدف الربح بشكل أساسي). وفي الوقت الحالي، يقدّر وجود أكثر من ٢٠٠ جامعة عربية؛ بينهم ١٦١ جامعة هي أعضاء في اتحاد الجامعات العربية و ٧٠٪ هي مؤسسات عامة بينما ٣٠٪ هي ملك للقطاع الخاص. ويلتحق بهذه الجامعات ثلاثة ملايين طالب بالإضافة إلى مليونين آخرين في مرحلة ما بعد التعليم الثانوي كالتعليم المهني وغيره من المؤسسات التعليميّة والتدريبيّة.

وقد جذبت هيبة التعليم الجامعي المزيد من الطلبة لنيل التعليم الأكاديمي عوضاً عن التعليم المهني على الرغم من توافر فرص عمل أكثر في التعليم المهني.

وأدّى الطلب المتزايد على أساتذة الجامعة إلى توظيف جميع المواطنين الذين يحملون شهادة الدكتوراه كأساتذة مساعدين بمن فيهم أولئك الذين لم يخضعوا لتدريب ما بعد شهادة الدكتوراه أو تدريب في التعليم. وقد حُمّل هؤلاء الأساتذة مسؤولية تعليمية هائلة بلغت في بعض الأحيان أكثر من خمس عشرة ساعة معتمدة في الفصل الواحد. وكانت نتائج هذه الأعباء الرداءة في التعليم والحد من تنمية الأستاذ المهنية.

ج ـ العلوم والتكنولوجيا

لم تغب العلوم الاجتماعية عن الممارسة العربيّة ولذلك لم يكن هناك من صعوبة في اعتماد منهجية حديثة في هذه الميادين. لكن كانت العلوم العربية الطبيعيّة والتكنولوجيا منهارة وسبّبت البعثة النابوليونيّة في أوائل القرن التاسع عشر صدمة في الشرق الأدنى شبيهة بتلك التي حدثت في اليابان بعد مرور عقود قليلة. وفي

النصف الأخير من القرن التاسع عشر بدأت شعبية التعليم العلمي الحديث بالانتشار. وكان هناك مجلتان اشتهرتا بتأثيرهما الشعبي وهما **الهلال والمقتطف** اللتان نُشرتا في مصر على يد مسيحيين عرب تخرّجوا في الجامعة الأميركية في بيروت. وكانتا في مستوى المجلة العلميّة الأميركيّة التي اشتهرت في الحقبة ذاتها، وكانتا تقرآن على نطاق واسع ولهما أثر بارز. لكن لسوء الحظ فقد اختفت هاتان المجلتان بعد الحرب العالمية الثانية.

وحتى بدء الحرب العالمية الثانية، كان البحث العلمي الحديث ذو المعايير الدولية غير منتظم في العالم العربي، وكان الأجانب يقومون بأكثره. وبعد الحرب، عاد عدد كبير من العرب إلى بلادهم بعد أن كانوا قد حازوا على درجة عالية من التدريب في الغرب، وبدأوا بالبحث الدّولي الجدّي وخاصة في مصر ولبنان والعراق. وسرعان ما انتشر هذا النوع من البحث إلى باقي العالم العربي.

ومنذ عام ١٩٦٠، حدث ازدياد سريع في المقالات العربيّة في المجلات العلمية. ويستمر هذا الازدياد بالتصاعد ترافقه مضاعفة في الوقت تساوي سبع سنوات ونصف السنة. ويعتبر هذا الإنجاز أفضل مقارنة بمضاعفة الوقت الدوليّة والتي تساوي من العشر إلى الإثنتي عشرة سنة.

ومع انتشار الجامعات العربيّة، أنشئت العديد من المجلات المحلية. ولم تصبح أكثرية هذه المجلات موثوقة **في المختصرات الدولية** إمّا بسبب معاييرها أو حداثتها؛ ومع ذلك فقد نُشر عددٌ كبيرٌ من المطبوعات العربيّة في هذه المجلات ففُقدت من المجمع الدولي. لم يُفضّل أساتذة الجامعة نشر

كتاباتهم في المجلات المحليّة بسبب سهولة ذلك فقط بل أيضاً لأن بعض الجامعات قبلت بها لأغراض الترقية.

وعلى الرغم من النّشر العربي العلمي **الموثق** والذي يُقدّر في الوقت الحالي بأكثر من عشرين ألف مقالة سنوياً، لا يبدو هناك سوى أثر بسيط جداً على التكنولوجيا الحديثة. وما زال العالم العربي يعتمد على استيراد التكنولوجيا الحديثة بأكملها ـ ويمكن إدراك هذه الحقيقة بشكل أوضح من خلال ندرة براءات الاختراع العربية.

٧

تسلسلات زمنية

أ – أحداث هامّة في العالم العربي

في كلّ منطقة أو دولة في العالم هناك أحداث يمكن تصنيفها بالهامّة لأنّها تركت بصمةً دائمةً على مستقبل تلك الدولة أو المنطقة. فعلى سبيل المثال، كان لفرنسا ثورتها الفرنسيّة ولروسيا ثورتها الاشتراكيّة والتي تبعها تفكّك الاتّحاد السوفياتي، وشهدت الصين ظهور الشيوعيّة وبروز ماو تسي تونغ. وفي القرن الفائت، كان للعالم العربي حصّته من الأحداث التي رسمت شكله الحالي. وفيما يلي بعض الأحداث الرئيسيّة التي ترد حسب التسلسل الزمني.

١ – كتاب ثيودور هيرتزل **الدولة اليهودية** الذي نُشر في عام ١٨٩٦. ويشير هذا الكتاب الموجز والواضح إلى بداية دولة إسرائيل. وقد أصبحت محتويات هذا الكتاب واقعاً على الأرض في أقل من نصف قرن.

٢ - وعد بلفور الذي صدر في تشرين الثاني من عام ١٩١٧.

وهذه ترجمة لنصّه:

وزارة الخارجية
في ٢ تشرين الثاني، ١٩١٧

عزيزي السيد روتشيلد،

باسم حكومة جلالته، يسعدني جداً أن أنقل لك الإعلان التالي تعاطفاً مع التطلّعات اليهوديّة الصهيونيّة التي قدّمت إلى مجلس الوزراء ووافق عليها:

«وتؤيد حكومة فخامته إقامة وطن قومي للشّعب اليهودي في فلسطين وستقوم بأفضل المساعي لتسهيل تحقيق هذا الهدف. وينبغي أن يكون واضحاً أنّه لا يجوز القيام بشيء قد يمسّ بالحقوق الدينيّة والمدنيّة للمجتمعات غير اليهوديّة القائمة في فلسطين أو الحقوق والوضع السياسيّ الذي يتمتع به اليهود في أيّ بلد آخر».

ويجب أن أكون ممتناً إذا وجّهتم هذا الإعلان إلى الاتّحاد الصهيوني.

(لمزيد من الإسناد، انظر إلى الفصل المتعلّق بأصل الصّراع العربي الفلسطيني).

٣ - اكتشاف احتياطات ضخمة من النفط في إيران والعراق

ودول الخليج في بدايات القسم الأول من القرن العشرين والعواقب السياسيّة والاقتصادية والعسكريّة لهذا الاكتشاف.

٤ - محرقة اليهود في الحرب العالميّة الثانية التي أثارت التعاطف مع الشعب اليهودي فمهّدت الطريق لقيام دولة إسرائيل - وتحقيق حلم ثيودور هرتزل.

٥ - إعلان دولة إسرائيل في شهر أيار من عام ١٩٤٨ وشبه اعتراف قوى العالم الكبرى بهذه الدّولة. وكانت هذه هي المرّة الأولى في تاريخ الشّرق الأوسط التي تُفصل فيها الأراضي العربيّة في آسيا وأفريقيا، والمرّة الأولى أيضاً التي يُعترف فيها بدولة من دون رسم لحدودها.

٦ - هزيمة الجيوش العربيّة في عام ١٩٤٨ التي أضعفت القوميّة العربيّة وأدّت إلى بروز التشدّدية الإسلاميّة والاشتراكية كنوعين من أنواع الاستعاضة عن الهزيمة.

٧ - إحياء القوميّة العربيّة على يد جمال عبد الناصر. وقد ملأ هذا الموقف العرب بالشعور بالفخر والشجاعة والاستعداد لاستعادة أمجاد الماضي في معظم الدول العربيّة في المنطقة.

٨ - الثّورة الجزائريّة التي كانت إحدى أهم الثورات ضد الاستعمار (الفرنسي) في القرن الماضي. وقد استشهد فيها مليون عربي جزائري بين سنتي ١٩٥٤ و١٩٦٢ في سبيل إحراز استقلالهم.

٩ - الخسارة المذلّة للقوى المصريّة والسوريّة والأردنيّة في حرب

الستّة أيام في شهر حزيران من عام ١٩٦٧ حين احتلّ الإسرائيليون قطاع غزّة ومرتفعات الجولان والضفّة الغربيّة بما فيها القدس. وقد سدّدت هذه الحرب ضربة مميتة لصدقية الأنظمة العربيّة أكثر من أي حادثة أخرى، كما أنها أعلنت دولة إسرائيل القوة العسكريّة الأولى في المنطقة التي تتحكّم بالقدس وكامل فلسطين ومرتفعات الجولان وسيناء.

١٠ - حرب رمضان التي يسميها الإسرائيليون حرب يوم الغفران في عام ١٩٧٣، وهي الحرب الهجوميّة الوحيدة التي شنّها العرب. وقد أدّت بشكل جزئي إلى نصر للعرب في هذه الحرب المستمرّة، وفهم أهميّة التخطيط الجيّد، إضافة إلى تخفيف حالة اليأس الشّديد التي أحسّ بها العرب بعد هزيمة حرب ١٩٦٧.

١١ - زيارة رئيس مصر، أنور السادات، إلى القدس التي نتج منها توقيع معاهدة سلام مصريّة إسرائيليّة في عام ١٩٧٩ والتي محت بحزم أيّ خيارٍ عربي لإيجاد حلٍّ عسكري.

١٢ - غزو إسرائيل للبنان (في عام ١٩٨٢). وكانت بيروت، عاصمة لبنان، هي العاصمة العربيّة الأولى التي احتلّها الإسرائيليون.

١٣ - حرب صدّام حسين على إيران (١٩٨٠ ـ ١٩٨٨) التي دعمتها الولايات المتّحدة ودول النفط العربيّة في الخليج عسكرياً ولوجستياً ومالياً.

١٤ - غزو العراق للكويت في عام ١٩٩٠ والذي أدّى في نهاية

الأمر إلى سقوط النّظام العراقي.

١٥ - العقوبات الاقتصاديّة الشديدة المفروضة على العراق ومآسي الشعب العراقي الإنسانية الناتجة من هذه العقوبات.

١٦ - الانتفاضتان الأولى والثانية اللتان بدأتا بشكل رئيسي حين قام الأولاد الفلسطينيون بإلقاء الحجارة على الجيش الإسرائيلي.

١٧ - المغالطة التي تشير إلى وجود أسلحة دمار شامل في العراق. ومن المعروف أنّ لدى إسرائيل عشرات القنابل الذريّة وإمكانيات إيصالها، واحتلال العراق والقضاء على حكم صدام.

ب - التسلسل الزمني لتاريخ فلسطين

مقدّمة: شهد القرن التاسع عشر بروز دول أوروبيّة قوميّة. وانتهى هذا القرن بظهور المفهوم النازي للدّولة المتجانسة السكّان. وقد تعرّض اليهود الأوروبيون وخاصة في أوروبا الشرقيّة للاضطهاد وهذا ما أثار فكرة الدّولة اليهوديّة.

ونظراً لكون المشكلة الفلسطينية العمود الفقري الأكثر أهمية في تاريخ العلاقات العربيّة الغربيّة، فسوف يُعرض هذا التسلسل الزمني بمزيد من التفصيل. فعلى الرغم من ظهور الأثر الرئيسي على حياة الشعب العربي في الأراضي الفلسطينية والسورية المحتلّة في الوقت الحالي، فإنّ أثر المشكلة غير المباشر على باقي العالم العربي هائل، وهذا ما أدّى إلى تطوّرٍ عسكري ومكثّف. وحدثت

في الدول ذات الجيوش الأكبر سلسلة من الانقلابات العسكرية، أهمها في سورية ومصر والعراق وتونس. وقد أدّت إلى صرف المزيد من الميزانيات على الجيوش في هذه البلدان وفي بلدان عربيّة أخرى وإلى الإنفاق القليل في البلدان التي هي بحاجة ماسّة للتنمية. وقد استُخدمت هذه الجيوش لغرض السيطرة المحليّة أكثر من الدّفاع.

وبالإضافة إلى هذا، فإن الدّعم الذي منحه الغرب لإسرائيل، وخاصة حكومة الولايات المتّحدة، هو السّبب الرئيسي للاحتكاك الذي حدث بين الشعب العربي والغرب وهو العذر الذي يستخدمه معظم الإرهابيين العرب ليهاجموا الغرب.

١٨٩٥

بلغ مجموع سكان فلسطين ٥٠٠,٠٠٠ نسمة وكان منهم ٤٧٠٠٠ من اليهود الذين امتلكوا ٠,٥٪ من الأرض.

١٨٩٦

بعد ظهور حركة المعاداة للساميّة في أوروبا، التي بدأت في أوروبا الشرقيّة وانتشرت من بعدها في غرب البلدان الأوروبية الغربية (وعلى سبيل المثال، انظر إلى بيان اللورد بلفور المعادي للساميّة في الفصل الخامس الجزء ج)، حاول ثيودور هيرتزل، مؤسس الصهيونية، أن يجد حلاً سياسياً للمشكلة في كتابه الذي يحمل عنوان **الدولة اليهوديّة**. فدعا إلى إنشاء دولة يهوديّة في الأرجنتين أو فلسطين.

١٨٩٧

أعلن المؤتمر الصهيوني الأول، الذي عُقد في بازل في

سويسرا، فلسطين كموطن لليهود. وقد وضع المشاركون منهجاً حكومياً يمكن أن يُنقل إلى فلسطين في وقت ما في المستقبل بما فيه المنظمة الصهيونيّة العالميّة التي كان من المفترض أن تربط اليهود ببعضهم. كما تضمن المنهج الصندوق القومي اليهودي لاكتساب الأراضي ولجنة لإدارة الشؤون المالية ولجنة سياسيّة لتحكم الأرض.

١٩٠٠

أنشأ كيرين كيميث (الصندوق القومي اليهودي) ملحقاً خاصاً بمنظمة الصهيونيّة العالميّة، ووظيفته الحصول على أرض في فلسطين. وكان من المفترض أن تصبح هذه الأرض يهوديّة ذات ملكيّة ثابتة وأن تكون العمالة المستخدمة فيها حصرياً لليهود ولا يمكن بيعها لغيرهم.

١٩٠٤

إصدار كتاب نجيب عازوري بعنوان **إيقاظ الأمّة العربيّة** الذي يحذّر من خلاله من الأهداف السياسيّة الصهيونيّة في فلسطين ويذكر قرار المؤتمر الصهيوني الرابع بإنشاء وطن قومي لليهود في الأرجنتين.

١٩٠٦

قرّر المؤتمر الصهيوني ضرورة تأسيس الوطن اليهودي في فلسطين.

١٩٠٨

أُسّست المجلة الفلسطينية «الكرمل» في حيفا لدعم معارضة

الاستعمار الصهيوني.

١٩١٠

أعربت جرائد عربيّة في بيروت ودمشق وحيفا عن معارضتها أيضاً للحيازة الصهيونيّة للأرض في فلسطين.

١٩١١

كانون الثاني: نشر الصحافي الفلسطيني نجيب نصر كتابه الأول في اللغة العربيّة الذي تناول فيه موضوع الصهيونيّة وحمل عنوان **الصهيونية: تاريخها، وأهدافها وأهميتها.**

شباط: بدأت الجريدة الفلسطينية «فلسطين» بمخاطبة قرائها «الفلسطينيين» وحذّرتهم من عواقب الاستعمار الصهيوني.

١٩١٣

اجتمع المؤتمر العربي القومي الأول في باريس.

١٩١٤

ومع اندلاع الحرب العالميّة الأولى، وعدت بريطانيا باستقلال الأراضي العربيّة الواقعة تحت الحكم العثماني بما فيها فلسطين في مقابل حصولهم على الدّعم العربي ضدّ تركيا التي دخلت الحرب إلى جانب الألمان.

١٩١٥

١٤ تموز: بدأت المراسلات حول الوحدة العربيّة بين الشريف حسين في مكّة المكرّمة والسيد مكماهون، وهو المندوب السّامي البريطاني في مصر.

آب ٢١: عمد جمال باشا، وهو حاكمٌ عسكري عثماني، إلى إعدام المجموعة الأولى من شهداء الحركة القوميّة العربيّة في بيروت.

في مذكّرة **فلسطين المستقبلية** اقترح هربرت صامويل، وهو المفوّض السامي المستقبلي، «ضم بريطانيا لفلسطين [حيث] يمكن أن نزرع ثلاثة أو أربعة الآف يهودي أوروبي».

١٩١٦

٣٠ كانون الثاني: انتهت مراسلات الحسين ومكماهون المبرمة مع العرب واشتملت على ضمان الاستقلال بعد الحرب ووحدة المقاطعات العربيّة في الإمبراطوريّة العثمانية بما فيها فلسطين.

أيار: أعدم جمال باشا في بيروت ودمشق واحداً وعشرين قائداً عربياً ومفكراً بمن فيهم فلسطينيون.

١٦ أيار: وقّعت الحكومتان البريطانيّة والفرنسيّة معاهدة سايكس بيكو السريّة التي قسّمت المقاطعات العربيّة في الإمبراطورية العثمانيّة إلى مناطق تحت الإدارتين الفرنسية والبريطانية.

١٠ حزيران: أعلن الشريف حسين استقلال العرب عن الحكم العثماني على أساس مراسلاته مع ماكماهون. وبدأت ثورة العرب ضد القسطنطينيّة.

٢ تشرين الأوّل: أُعلن الشريف حسين ملكاً على البلدان العربية وأدّى مراسم الاحتفال بالمبايعة بحيث يرافق تقليد المنصب إعلان رسمي بالولاء.

١٩١٧

٢ تشرين الثاني، أصدرت الحكومة البريطانيّة وعد بلفور تعد فيه الشعب اليهودي بوطن يهوديّ مستقل في فلسطين. وقد بلغ عدد السكان في ذلك الوقت ٧٠٠,٠٠٠ نسمة وكان منهم ٥٧٤,٠٠ مسلم و٧٤,٠٠٠ مسيحي و٥٦,٠٠٠ يهودي.

كانون الأول، غزت القوّات البريطانيّة فلسطين واستولت على القدس.

استسلام القوات العثمانيّة في القدس لقوات التحالف تحت قيادة الجنرال السير أدموند اللنبي.

١٩١٩

عقد الفلسطينيون مؤتمرهم الوطني الأول وعبّروا عن معارضتهم لوعد بلفور.

١٩٢٠

منح مؤتمر سان ريمو بريطانيا حق انتداب فلسطين وبعد مرور سنتين وُضعت فلسطين تحت الإدارة البريطانية. وبُعث السّير هربرت صامويل، وهو صهيوني معلن، إلى فلسطين بصفته المفوّض السّامي الأول لبريطانيا.

١٩٢٢

أصدر مجلس عصبة الأمم انتداباً لفلسطين. وقد تضمّن الانتداب بنداً يؤيد إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين.

٣ حزيران: أصدرت الحكومة البريطانيّة الكتاب الأبيض حول فلسطين مستثنية المناطق الواقعة شرقي نهر الأردن من نطاق وعد بلفور.

٣٠ حزيران: صادق الكونغرس الأميركي على وعد بلفور.

٢٤ تموز: وافق مجلس عصبة الأمم على انتداب فلسطين من دون موافقة الفلسطينيين.

٢٠ آب: اتفق المؤتمر الفلسطينيّ القوميّ الخامس الذي اجتمع في نابلس على مقاطعة الصهاينة اقتصاديّاً.

تشرين الأول: أكّد أول إحصاء رسمي للسكان في فلسطين أنّ عدد سكانها قد بلغ ٧٥٧,١٨ نسمة (١١٪ من اليهود).

١٩٢٣

١٦ شباط: انعقد مؤتمر فلسطين القومي السادس في يافا.

٢٩ أيلول: دخل انتداب بريطانيا لفلسطين حيّز التنفيذ رسمياً.

١٩٣٥

٢٧ آذار: الإعلان الرسمي للحزب العربي الفلسطيني في القدس، وانتخاب جمال الحسيني رئيساً للحزب.

١٥ أيار: الاجتماع الثاني للمؤتمر التنفيذي للشّباب العربيّ القوميّ في حيفا.

٢٣ حزيران: إعلان حزب الإصلاح في جنين. وقد رأسه

ثلاثة من موظّفي السكرتارية وهم: حسين الخالدي ومحمود أبو خضرة وشبلي الجمل.

٥ تشرين الأول: إعلان تأسيس الكتلة الوطنية في نابلس بقيادة الرئيس المنتخب عبد اللطيف صلاح.

تشرين الأول: أسس أعضاء الهاغاناه المنشقون حركة إرغون زفاي ليئومي (المنظمة العسكرية الوطنية). وأعلن فلاديمير جابوتنسكي القائد الأعلى للحركة.

تشرين الثاني: قاد الشيخ عز الدين القسّام مجموعة الميليشيات الفلسطينية الأولى وقُتل على أرض المعركة ضد قوات الأمن البريطانية.

١٩٣٦

عقد الفلسطينيون إضراباً عامّاً لمدة ستّة أشهر احتجاجاً على مصادرة الأراضي والهجرة اليهودية.

١٩٣٩

أسفر مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن عن كتاب أبيض يعد العرب بإنشاء دولة واحدة عربيّة يهودية مستقلّة في فلسطين بعد مرور عشر سنوات على تاريخ إصدار الكتاب. كما أنّها قد وعدت بخفض الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين إلى ١,٤٠٠ في السّنة حتى عام ١٩٤٤ وبعد ذلك تتوقف الهجرة اليهوديّة.

١٩٤٢

كانون الثاني: حثّ الدكتور حاييم وايزمان في كتاب **الشّؤون الخارجيّة** على إنشاء دولة يهوديّة في فلسطين بعد الحرب.

أيار: صاغ مؤتمر بالتيمور الصهيوني، الذي انعقد في فندق

بالتيمور في نيويورك، سياسة جديدة لإنشاء «جمهورية يهوديّة» في فلسطين وتنظيم الجيش اليهوديّ.

١٩٤٤ ـ ١٩٤٧

الحرب اليهوديّة ـ البريطانيّة: حاولت جماعات يهوديّة متطرّفة أن تطرد القوى البريطانيّة. وأُطلق على المقاتلين اليهود المسلّحين الذين قادهم بن غوريون اسم الهاغاناه. وقد انضموا لاحقاً إلى الجيش الإسرائيلي. ولجأت مجموعتان عسكريتان منفصلتان إلى أسلوب الاغتيالات والتفجيرات (وهما مجموعة **أرغون زفاي ليئومي** بقيادة مناحيم بيغن ومجموعة **يهي** [المقاتلون من أجل حرية إسرائيل] أو **عصابة شتيرن** بقيادة إسحق شامير). **قتلت المنظمتان** العديد من الجنود البريطانيين والمدنيين العرب.

١٩٤٧

أعلنت بريطانيا عدم قدرتها على تحقيق السّلام في فلسطين وحوّلت المسألة إلى الأمم المتّحدة. وقد صوّتت الأمم المتحدة في القرار ١٨١ لصالح تقسيم فلسطين إلى ولايات يهوديّة وفلسطينيّة مع وجود مقاطعة دوليّة حول القدس وبيت لحم. فرفض القادة العرب هذه الخطّة وأصرّوا على إبقاء فلسطين متّحدة في ظلّ حكومة علمانيّة. وبدأ الاقتتال بين اليهود والفلسطينيين. وأصبح العديد من الفلسطينيين لاجئين.

١٩٤٨

عدد السكان التقريبي في فلسطين: ١,٦٥٠,٠٠٠ فلسطيني و٧٥٠,٠٠٠ يهودي.

٨ نيسان: قتل عبد القادر حسيني، وهو قائد عسكري فلسطيني من القدس، في هجوم مضاد على قرية القسطل التي تقع في الضاحيّة الغربيّة من القدس.

٩ نيسان: ذبحت عصابتا شتيرن وإرغون بقيادة مناحيم بيغن وإسحق شامير ٢٤٥ فلسطينياً في قرية دير ياسين الواقعة في الضاحية الغربيّة للقدس.

١١ نيسان: دمّرت حركة الهاغاناه قرية كالونيا بالقرب من القسطل واحتلت دير ياسين.

٣٠ نيسان: احتلت الهاغاناه جميع الأحياء الفلسطينية في القدس الغربيّة وطردت الفلسطينيين.

٢ أيار: أكملت الوكالة اليهوديّة تعبئة القوى العاملة اليهوديّة.

١٣ أيار: عيّنت الأمم المتّحدة الكونت فولك برنادوت وسيطاً لتسوية الصّراع في فلسطين.

١٤ أيار: أُعلنت دولة إسرائيل في تل أبيب في الساعة ٤,٠٠ صباحاً.

١٥ أيار: انتهاء الانتداب البريطاني.

- أرسلت الدّول العربيّة نحو ٢٥٠,٠٠٠ من قواتها المسلّحة إلى فلسطين.

- أصبحت الهاغاناه، التي تتألف من ٦٠,٠٠٠ إلى ٧٠,٠٠٠ عضو مدرّب، العمود الفقري لقوات جيش الاحتلال الإسرائيلي.

١٥ ـــ ١٧ أيار: اعتراف الولايات المتّحدة واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية بإسرائيل.

٢٨ حزيران: نصّت خطّة سلام الكونت برنادوت الأولى (أصدرها مبعوث الأمم المتّحدة لإحلال السلام في فلسطين): أن تكون **القدس عربيّة**.

٥ تموز: ردّ بن غوريون على موشيه شاريت في ما يتعلق بالسّماح بعودة العرب إلى يافا قائلاً، «يعارض رئيس الوزراء عودة السكان العرب إلى مناطقهم ما دام القتال مستمراً والعدو على أبوابنا. ويدعم رئيس الوزراء الرأي الذي يقرّ بأنّه لا يستطيع أن يتّخذ قرار تغيير هذه السياسة سوى مجلس الوزراء بأكمله».

٧ تموز: قُسّمت منطقة جبل الزيتون في القدس إلى ثلاثة قطاعات: القطاع اليهوديّ (بما فيه مستشفى هداسا والجامعة العبريّة التي كانت معزولة تماماً عن إسرائيل)، وقطاع عربيّ (قرية العيسوية) وقطاع ثالث يضمّ مستشفى أوغستا فكتوريا مرتبطاً بالمنطقة العربيّة.

١ أيلول: نَتج من المؤتمر الوطني الفلسطيني في غزّة تشكيل حكومة عموم فلسطين برئاسة الزعيم الفلسطيني أحمد حلمي باشا.

١٧ أيلول: اغتال المتطرفون اليهود وسيط الأمم المتّحدة الكونت فولك برنادوت في القدس.

أيلول: أبلغ بن غوريون موشيه شاريت بأنّ قائد الجبهة المركزية أعلمه بأنّه سيكون من الضروري تدمير أجزاء من أربع عشرة قرية عربيّة تقع إلى شرقي **اللد** [سفاريا والعديسية

والبيرة وقباب وبيت نبلا ودير شريف والطيره وحولا]، «نتيجة النّقص في القوى العاملة التي تتسع للمنطقة وتحصّنها في العمق فمن الضروري إنشاء قواعد دفاع على وجه السرعة».

١ تشرين الأول: أعلنت حكومة عموم فلسطين الاستقلال الفلسطيني.

١٥ تشرين الأول: اعتراف كل من مصر وسورية ولبنان والمملكة السعوديّة العربيّة بحكومة عموم فلسطين.

١ كانون الأول: أشار مؤتمر أريحا الذي تألّف من الوجهاء ورؤساء البلديات إلى الموافقة على وحدة الضفّة الغربيّة مع الأردن.

١١ كانون الأول: قرار الجمعية العامة للأمم المتّحدة (الرقم ٣): حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة.

٢٠ كانون الأول: عُيّن الشّيخ حسام الدين جار الله مفتياً للقدس (ليحلّ مكان الحاج أمين حسيني الذي كان أيضاً القائد الرئيسي للفلسطينيين العرب) وعُيّن أمين عبد الهادي كرئيسٍ للمجلس الإسلامي الأعلى في القدس.

من نيسان إلى أيار ١٩٤٨: طالت المجازر التي نُفذت بالفلسطينيين على يد الجماعتين الصهيونيتين هاغاناه وأرغون جميع أنحاء فلسطين.

١٩٤٨ ــ ١٩٥٠

١٩٤٨/٥/١٥: انسحبت بريطانيا من فلسطين. وأدّى إعلان دولة إسرائيل إلى اندلاع حرب ١٩٤٨ في ١٤ أيار

بين إسرائيل والبلدان العربيّة. وقد طُرد ٨٤٦,٠٠٠ فلسطيني من وطنهم أو فرّوا من القتال الذي رافق قيام الدّولة اليهوديّة. ولم يبق سوى ١٦٠,٠٠٠ فلسطيني في إسرائيل نفسها.

نصّت المادة ٤٩ (الفقرة ٦) من **اتفاقية جنيف الرابعة** على ما يلي: لا يجوز أن ترحل أو تنقل السلطة القائمة بالاحتلال (إسرائيل) جزءاً من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها، كما أنّها ترفض وتمنع اليهود من الاستيطان في منطقة الضفّة الغربيّة.

ولم تسمح الحكومة الإسرائيليّة إلّا لعددٍ قليلٍ جداً من الفلسطينيين فقط بالعودة بعد انتهاء الحرب. وبحلول عام ١٩٥٠، كان هناك أكثر من مليون فلسطيني يعيشون في مخيمات اللاجئين المدعومة من جانب الأمم المتحدة التي أقيمت في قطاع غزة والضفّة الغربيّة ولبنان والأردن وسورية.

١٩٦٤

إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية في القدس برئاسة **أحمد الشقيري**.

١٩٦٥

بدأت «الثورة» الفلسطينية في الأول من كانون الثاني.

١٩٦٧

العدد التقريبي لسكان إسرائيل والأراضي المحتلة: ١,٦٦٠,٠٠٠ فلسطيني و٢,٣٨٤,٠٠٠ يهودي.

بدأت حرب سنة ١٩٦٧ في ٥ حزيران مع احتلال إسرائيل

للضفّة الغربيّة وقطاع غزّة. وقد فرّ ما يقارب من ٢٥٠,٠٠٠ لاجئ فلسطيني أو أجبروا على الهجرة إلى الأردن. وبعد حرب الأيام الستّة في عام ١٩٦٧، أعلن ياسر عرفات (الذي كان قائداً للمقاومة الفلسطينية المسلّحة فتح) (حركة التحرير الوطني الفلسطيني) زعيماً لمنظمة التحرير الفلسطينية.

١٩٧٣

في تشرين الأوّل أو شهر رمضان أو حرب يوم الغفران:
حاولت مصر وسورية أن تستعيدا أراضيهما المفقودة. فأبعدتا إسرائيل عن شبه جزيرة سيناء وخاصّة عن مرتفعات الجولان. وقد أدى جسر الأسلحة الجوي الكبير الذي أقامته الولايات المتحدة إلى ترجيح كفّة الميزان لصالح إسرائيل وفشل الاستعادة.

١٩٧٤

أصدرت الأمم المتّحدة القرار ٣٣٨ تؤكد فيه مجدّداً حق الفلسطينيين في تقرير المصير والاستقلال الوطني.

وتحدّث ياسر عرفات إلى الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة معلناً، «لقد أتيت إليكم بغصن زيتون وبندقية المقاتل من أجل الحرّية فلا تدعوا غصن الزيتون يسقط من يدي». وأصدرت الأمم المتّحدة قرار الرباط الذي وصف منظّمة التّحرير الفلسطينية كالممثل الشّرعي والوحيد للشّعب الفلسطيني.

١٩٧٧

أصبح مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل. ودعا حزب الليكود

بقيادة بيغن إلى تأسيس «إسرائيل كبرى» تتضمّن الضّفة الغربيّة وقطاع غزّة وربّما الأردن بالإضافة إلى مستوطنات لليهود غير محدودة العدد تقع في المناطق المأهولة بالعرب وتحت الاحتلال الإسرائيلي. **ووصل أنور السادات، رئيس مصر، إلى القدس للبدء بالمحادثات.**

١٩٧٨

وقّعت مصر وإسرائيل على اتفاقيات كامب دايفيد. واجتاحت إسرائيل لبنان وأقامت «منطقة أمنية» حتى نهر الليطاني.

١٩٨٢

غزت إسرائيل لبنان بهدف تدمير منظمة التحرير الفلسطينيّة. وقد قُتل عشرات الآلاف وشُرّدوا في أعقاب الغزو الذي بلغ ذروته في مذابح مخيمي صبرا وشاتيلا.

١٩٨٣

دعت الأمم المتّحدة إلى عقد مؤتمر للسلام بمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية على قدم مساواة مع غيرها من المندوبين بوصفها الممثّل الشّرعي للشعب الفلسطيني.

١٩٨٥

آب: سنّت إسرائيل لنفسها «سياسة القبضة الحديديّة» وأمر وزير الدفاع إسحق رابين القوات بكسر العظام، وهدم المنازل وتنفيذ الاحتجاز الإداري وترحيل الفلسطينيين.

١٩٨٧

كانون الأول: بدأت الانتفاضة الفلسطينية. وقد التزم

الفلسطينيون بأهداف أُقرّت أمام الآخرين بتمتّع الفلسطينيين بالحقوق عينها التي يتمتع بها جميع البشر بما فيها الحق في تقرير مصيرهم والعيش في أمان وحريّة.

١٩٨٨

تمّ اغتيال أبو جهاد (الزعيم الثاني لمنظمة التحرير الفلسطينية) **في بيروت** في ١٤ نيسان على يد فريق إسرائيلي. واعترفت منظّمة التّحرير الفلسطينيّة بدولة إسرائيل ونصّت على إقامة دولة فلسطينية ونبذت الإرهاب ودعت إلى المفاوضات. ونتيجة للانتخابات الإسرائيلية فقد أُعيد انتخاب إسحق شامير رئيساً للوزراء. وعلى أثر رفض حكومة الولايات المتّحدة منح الرئيس عرفات تأشيرة دخول إلى الولايات المتّحدة، وعقدت الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة جلسة خاصة بشأن قضيّة فلسطين في جنيف.

١٩٨٩

٢٨ حزيران: أصدرت الجمعيّة الأوروبيّة الاقتصاديّة في مؤتمر مدريد إعلاناً جديداً يدعو إلى مشاركة منظمة التحرير الفلسطينيّة بأيّ مفاوضات للسّلام.

١٩٩٠

٢٠ أيار: قتل مسلخ إسرائيلي سبعة عمال فلسطينيين بالقرب من تل أبيب. وقد وجّه ياسر عرفات كلمة إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة في جنيف على إثر المذبحة التي وقعت دعا فيها إلى نشر قوّة تابعة للأمم المتحدة في حالات الطوارئ لتوفير الحماية الدوليّة للشعب الفلسطيني بهدف الحفاظ على حياتهم وممتلكاتهم والأماكن المقدّسة. وقد

استخدمت الولايات المتّحدة حقّ النقض ضد اقتراح دعا مجلس الأمن إلى إرسال بعثة إلى المنطقة لتقصّي الحقائق. وفي نهاية الإضراب عن الطعام الذي قام به القادة الفلسطينيين في الأراضي المحتلّة، قرّروا مقاطعة الولايات المتّحدة.

١٩٩٠

٢٦ حزيران: أصدرت المجموعة الأوروبيّة الاقتصاديّة في دبلن إعلاناً جديداً حول الشّرق الأوسط أدان الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان ولإسكان السوفيات اليهود في الأراضي المحتلّة. كما ضاعفت برنامجها للمساعدة الاقتصادية في الأراضي المحتلّة.

١٩٩١

٣٠ تشرين الأول: انعقد مؤتمر مدريد للسلام.

٣ كانون الأول: بدأت المحادثات الأفقيّة بين إسرائيل والفلسطينيين والسوريين والأردنيين واللبنانيين في واشنطن.

١٩٩٢

أصبح إسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل.

١٩٩٣

وقّعت فلسطين وإسرائيل في ١٣ أيلول على إعلان المبادئ في العاصمة واشنطن.

١٩٩٥

٢٨ أيلول: وُقّعت اتفاقيّة فلسطينيّة ـ إسرائيليّة مؤقتّة في واشنطن.

٤ تشرين الثاني: إغتال الإسرائيلي المتطرّف ياغيل أمير رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين.

١٩٩٦

كانون الثاني: أجرى الفلسطينيون الانتخابات الديموقراطية الأولى. وانتُخب ياسر عرفات رئيساً لفلسطين.

٢٨ أيار: إنتخبت إسرائيل بنيامين نتنياهو رئيساً للوزراء الذي رفض تنفيذ اتفاقيات السّلام السابقة.

أيلول: فتحت الحكومة الإسرائيلية نفقاً في القدس، وبهذا فقد نكصت جميع اتفاقيات السّلام السابقة التي نصّت على أنّه لا يجوز تغيير القدس بأيّ شكلٍ من الأشكال من قبل أي من الطرفين حتى يتمّ التوصّل إلى وضع نهائي لاتفاقيات السلام.

١٩٩٧

آذار : بدأ بناء **مستعمرة** إسرائيليّة في جبل غنيم (مار حوما) **جنوب القدس**. وأوقف إطلاق محادثات السّلام بسبب استمرار سياسة المستوطنات التي اتبعتها حكومة نتنياهو.

١٩٩٨

٧ تموز: تبنّت الجمعيّة العامّة القرار ٥٢/٢٥٠ بعنوان «مشاركة فلسطين في عمل الأمم المتّحدة» وصوّتت بأغلبية ساحقة لرفع مستوى تمثيل فلسطين في الأمم المتحدة إلى مستوى فريد من نوعه لم يسبق له مثيل يقع في مكانٍ ما بين المراقبين الآخرين من ناحية والدول الأعضاء من ناحية

أخرى. وقد خوّل القرار فلسطين حيازة حقوقٍ وامتيازات أخرى وإضافيّة للمشاركة في عمل الأمم المتّحدة التي كان من السائد أن تكون حكراً على الدول الأعضاء.

أيلول: أشار أحدث تعداد للسكان صادر عن المكتب الإسرائيلي المركزي للإحصاءات أنّ عدد سكان إسرائيل قد بلغ نحو ٥,٩ مليون نسمة. وكان من هذا العدد ٤,٧ مليون يهودي يعيش منهم تقريباً نحو ٢٣٠,٠٠٠ في المستعمرات في الأراضي المحتلة إلى جانب نحو مليون إسرائيلي عربي. كما أشار التّعداد إلى أنّ عدد سكان المستوطنين في الضفّة الغربيّة قد ارتفع بنسبة ٣٪. **والملاحظ أن كثيراً من اليهود الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية لا يسكنون في إسرائيل.**

كانون الأول: قام رئيس الولايات المتّحدة بيل كلينتون بزيارة إلى قطاع غزّة وبيت لحم بين الرابع والسادس عشر من شهر كانون الأول من سنة ١٩٩٨ ليكون بذلك الرئيس الأميركي الأول الذي يزور أيّ أرضٍ فلسطينيّة أو يتعامل بشكل مباشر مع القادّة والمؤسّسات الفلسطينية على أرضهم. وخلال الزيارة، أدلى الرئيس ببيانات هامّة وكان على وشك الاعتراف بحقّ فلسطين في تقرير مصيرها. وقد رافق الرئيس عائلته ووفدٌ رسمي كبيرٌ ضمّ وزير الدولة ومستشار الأمن الوطني. كما وجّه الرئيس كلينتون كلمة في اجتماع حضره الرئيس عرفات ورئيس المجلس الوطني الفلسطيني ورئيس المجلس الفلسطيني وأعضاء من المجلس الوطني الفلسطيني والمجلس المركزي

والمجلس التشريعي الفلسطيني فضلاً عن رؤساء وزراء فلسطينيين وغيرهم من الشخصيات.

تشرين الأول: وقّعت إسرائيل وفلسطين على مذكّرة واي ريفر. وتملي المذكرة على إسرائيل أن تنسحب من ١٣٪ إضافيّة من الأراضي المحتلّة وإلى تجميد بناء المستوطنات فيها. ويتوجّب على فلسطين محاربة الإرهاب وتغيير ميثاق منظمة التحرير الفلسطينيّة للاعتراف بإسرائيل كدولة. وقد امتثلت فلسطين لبنود المذكّرة لكن إسرائيل لم تلتزم بأيّ منها.

١٧ أيار ١٩٩٩

هزم إيهود باراك بنيامين نتنياهو في الانتخابات.

٢٩ أيلول ٢٠٠٠

بدأت انتفاضة الأقصى الفلسطينيّة.

٦ شباط ٢٠٠١

هزم أريل شارون إيهود باراك في الانتخابات الاسرائيليّة.

تقرير حول شؤون الشرق الأوسط

www.washington_ report.org

٨

هل تعلمون

لمّا كنّا قد توخّينا في هذا الكتاب الموضوعية والبحث عن الحقائق كما أشرنا في المقدّمة، فسوف نورد الآراء المختلفة التي تناولت ما نحن بصدده مبتعدين في ذلك عن اي انتقائية أو هوى. وفي ما يأتي اقتباسات وتصريحات وتعليقات من كتّاب ومفكّرين وسياسيين صهاينة ويهود وأميركيين وأوروبيين. واستثنينا العرب خوفاً من الانحياز، ونرجو أن يكون هذا الفصل عوناً لنا في ما أردْنا أن نبيّنه في هذا الكتاب. وإليكم بعضها:

١. أورد ميشال بار زوهار في كتابه **بن غوريون: النبي المسلّح** الصادر عن دار «برينتس هول للنشر» في عام ١٩٦٧ في الصفحة ١٥٧ ما ذكره دايفيد بن غوريون في **يوميّاته** في ١٨ تموز سنة ١٩٤٨ حين قال، «يجب أن نقوم بكل ما يكفل لنا عدم عودتهم (أي الفلسطينيين)» مؤكّداً لأتباعه الصّهاينة أنّ الفلسطينيّين لن يرجعوا إلى بيوتهم. مضيفاً، «إنّ العجوز سيموت والشاب سينسى».

٢. كان قد ورد في إذاعة «كول يسرائيل» أنّ رئيس الحكومة الإسرائيلي آريل شارون قال لشيمون بيريز في ٣ تشرين الأوّل من عام ٢٠٠١، «في كل مرّة نقوم بشيء ما، تقول لي إنّ أميركا سترد بهذا وذاك. أريد أن أقول لك شيئاً واضحاً جداً: لا تقلق من الضغط الأميركيّ على إسرائيل. فنحن، أي الشّعب الاسرائيليّ، نتحكّم في أميركا والأميركيّون يدركون ذلك». http:// www.sweetliberty.org/issues/israel/

٣. وصف دايفيد بن غوريون، وهو أحد الآباء المؤسّسين لإسرائيل، الأهداف الصهيونيّة في عام ١٩٤٨ قائلاً، «يجب أن تقام أمّة مسيحيّة [في لبنان] تتضمّن حدوده الجنوبيّة حتى نهر الليطاني. وسنتحالف معها. وحين ندمّر قوّة الاتّحاد عند العرب ونقذف عمّان بالقنابل، سوف نتخلّص مما وراء عمّان أيضاً، وعندها ستسقط سورية. وإذا ما أصرّت مصر على مواصلة القتال فسنضرب بور سعيد والإسكندريّة والقاهرة... وعلى هذا النحو سننهي الحرب ونصفّي حساب أجدادنا مع مصر واسيريا وآرام».

٤. جاء في مقالة ايرسكين تشيلديرز، «سِفْر الخروج الآخر» التي نُشرت في مجلة **المشاهد** البريطانيّة الصّادرة في لندن في ١٢ أيار من عام ١٩٦١ ما قاله ناثان شوفسي في الرسالة الإخباريّة الصادرة في نيويورك في ٩ شباط ١٩٥٩، «لقد أتينا وحوّلنا المواطنين العرب لاجئين بائسين. وما زال يتوجّب علينا أن نلطّخ سمعتهم ونشوّهها. فعوضاً عن أن نكون في منتهى الخجل مما فعلنا وأن نحاول أن نلغي بعض

الأخطاء الجسيمة التي اقترفناها، فنحن نبرّر أعمالنا الشائنة ونسعى إلى تمجيدها».

٥. يقول م.ك غاندي في كتابه **مبدئي اللاعنفي** الذي ألّفه وأعدّه ساليش كومار باندوباديا وصدر في أحمد أباد عن دار نافيجيان للنشر في عام ١٩٦٠ في الصفحات ٧٢- ٧٠ و٧٣- ٧٤، «لماذا لا يحق لليهود أن يجعلوا من ذلك البلد موطناً لهم يولدون فيه ويُرزقون منه شأنهم شأن باقي شعوب العالم؟ تنتمي فلسطين إلى العرب كما تنتمي إنكلترا إلى الإنكليز وفرنسا إلى الفرنسيّين. فإنّه لمن الخطأ وغير الإنساني أن نفرض اليهود على العرب. فليس هناك أي مبدأ أخلاقي يبرّر ما يجري في فلسطين اليوم... فاليهود المولودون في فرنسا هم فرنسيّون تحديداً كما هم المسيحيّون المولودون في فرنسا فرنسيّون. وإذا لم يكن لليهود من بيت غير فلسطين فهل سيبتهجون حين يكونون مجبرين على ترك أجزاء العالم الأخرى حيث هم مستقرون؟ أم أنّهم يريدون وطناً بديلاً يبقون فيه بإرادتهم؟ فهذه الصرخة من أجل وطن قومي تعطي تبريراً مخادعاً لترحيل اليهود على يد الألمان».

٦. هذه ترجمة لمقطع من رسالة في اللغة الفرنسيّة كان قد كتبها الدكتور ثيودور هيرتزل إلى السيّد محمّد يوسف الخالدي الذي كان عضواً ممثلاً للقدس في البرلمان العثماني.

سعادة النّائب،

ليس للمشروع الصهيونيّ الذي أنا خادمه المتواضع أيّ ميول عدائيّة ضد الحكومة العثمانيّة بل وعلى العكس فإنّ هذه

الحركة تهتم بفتح موارد جديدة للأمبراطوريّة العثمانيّة. فعبرالسماح لبعض اليهود بالهجرة، لا يستطيع أحد أن يشكّ أنّ خير البلاد هو النّتيجة الإيجابيّة لهذه الهجرة لأنّهم يحملون معهم ذكاءهم وحنكتهم الماديّة ومواردهم التجاريّة إلى البلد الذي يهاجرون إليه. فمن الضروريّ أن نفهم هذا وأن نجعله معروفاً للجميع.

وماذا عن قضيّة الأماكن المقدّسة؟

لا أحد يفكر في أن يمسّ هذه الأماكن أبداً. وكما كنت قد قلت وكتبت مرّات عدّة: فقد فقدت هذه الأماكن القدرة على الانتماء الكامل إلى معتقد وسلالة وشعب واحد إلى الأبد. فهذه الأماكن مقدسة وستبقى مقدّسة بالنسبة إلى العالم أجمع، للمسلمين كما للمسيحيين واليهود. فسيكون للسّلام العالمي، الذي يتحمّس الرّجال الصّالحون لبلوغه، رمزه في اتحاد أخويّ في الأماكن المقدسة.

يا سعادة النّائب، أتمنى أن تكون هذه الشروحات القليلة كافية لتزيد تعاطفك مع حركتنا.

وأرجو أن تقبل منّي التّأكيد على مراعاتي الشّديدة للوضع الرّاهن.

التوقيع: الدكتور ثيودور هيرتزل

٧. صرّح رافاييل إيتان، قائد أركان قوات الدّفاع الإسرائيليّة، لمجلة **النيويورك تايمز** في ١٤ نيسان من عام ١٩٨٣ بأنّه «حين نكون قد استقررنا في المنطقة، لن يصبح بوسع جميع

العرب القيام بأيّ شيء غير الانطلاق مسرعين كصراصير مخدّرة وُضعت في قنينة».

٨. هل كنت تعلم أنّ وزير الخارجيّة الاسرائيليّ أبا إيبان أقرّ بأنّه «إذا صوّت مجلس النواب بـ ١٢١ صوتاً لصالح عودة اسرائيل إلى معاهدة الصلح (حدود ما قبل حزيران من عام ١٩٦٧) مقابل صوت واحد ضدّها فإنّ إسرائيل سترفض الإلتزام بالقرار؟» (**نيويورك تايمز**، ١٩ حزيران، ١٩٦٧)

٩. هل كنت تعلم أنّ موشي ديان قد أعلن في جريدة **هاآريتز** في ٤ نيسان من عام ١٩٦٩ أنّ «هناك قرى يهوديّة تُبنى مكان القرى العربيّة»؟ فأنت لا تعرف حتى أسماء القرى العربيّة ولا ألومك على هذا لأنه لم يعد هناك من وجود لكتب الجغرافيا ولا للقرى العربيّة. فقامت قرية نبلول مكان قرية محلول وكيبوتز إيرات مكان جيبتا وكيبوتز سعيد مكان حنيفيز وكاتار يشوا مكان تل الشّومان. فليس هناك من قرية واحدة بنيت في هذه البلد ولم يكن سكانها السابقون عرباً». (**هاآريتز**، ٤ نيسان من عام ١٩٦٩)

١٠. قال ثيودور هيرتزل، مؤسس مبدأ القوميّة اليهوديّة الذي نشر كتابه **الدولة اليهوديّة** في ١٤ شباط من عام ١٨٩٦:

وهل نختار فلسطين؟

سوف نأخذ ما هو ممنوح لنا وما يختاره الرأي العام اليهوديّ. ففلسطين هي بلدنا التاريخي الذي لن ننساه. فوحده اسم فلسطين سيجذب شعبنا.

إنّ أرض الأرجنتين هي من الأراضي الأكثر خصوبة في العالم. فهي فسيحة وتتميّز بكثافة سكانيّة ومناخ حراريّ ضئيلين. وستكسب جمهورية الأرجنتين كثيراً إذا ما اقتطعنا جزءاً من أرضها».

١١. هل كنت تعلم أنّه بعد مرور تسع وسبعين سنة على ما قاله هيرتزل صرّحت غولدا مائير، وزيرة خارجيّة اسرائيل، في مجلّة **الصانداي تايمز** في ١٥ حزيران من عام ١٩٦٩ أنّه «ليس هناك ما يُدعى فلسطينيّون. وكأنّه لم يكن هناك فلسطينيّون يعيشون في فلسطين وأتينا وطردناهم وأخذنا منهم بلدهم. فلم يكن هناك من وجود لهم». (صانداي تايمز في ١٥ حزيران من عام ١٩٦٩).

وسؤالنا لأصحاب القرار في فلسطين والبلاد العربيّة هو: «هل كنتم تعلمون ما يضمره الصهاينة لفلسطين؟» فإن كنتم تعلمون فتلك مصيبة وإن كنتم لا تعلمون فالمصيبة أكبر!

٩

الخاتمة

«وظُلْمُ ذوي القُربى أَشَدّ مَضاضَةً
على النّفْس من وَقْع السّيْف المُهَنَّد»
طرفة بن العبد

خلافاً للفصول السابقة، ينقل هذا الفصل مشاعر وانطباعات الكاتبين العربين وبذلك قد يكون عُرضةً لموافقة القارئ الغربي أو بعض العرب أو عدم موافقتهم. وفي رأينا، يتقاسم أغلبية الشعب العربي الانطباعات الأولى سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين متعصبين متطرفين أو عرباً ليبراليين معتدلين.

بدأت العلاقات العربيّة الأميركيّة في وقت مبكّر من القرن التاسع عشر حين أتت مجموعة من الإرساليات الأميركيّة المسيحيّة إلى الشّرق الأوسط. وقد وصلت هذه الإرساليات إلى تركيا وسورية ولبنان وفلسطين وكان هدفها تأسيس المدارس في هذه المنطقة. وعلى الرغم من أنّ كون الهدف وراء هذه الإرساليات هو نشر

الدين المسيحي البروتستانتي بين السكان المحليين، فقد شدّدت على مبادئ حقوق الإنسان والنزاهة الفكريّة والمعنى الحقيقي للديموقراطيّة. وكان للأنشطة التعليميّة التي قامت بها الإرساليات الأميركيّة في تلك الفترة حسنات متعدّدة بما فيها التّركيز على اللغة العربيّة والالتزام بتعليم العلوم الحديثة عبر استخدام اللّغة العربيّة. وكانت هذه الإرساليات هي الرائدة في هذه الأنشطة ولذا يدين التألّق الفكري، الذي سجّل المظاهر الأولى للنّهضة واليقظة العربيّة، إلى كثير من عمل هذه الإرساليّات.

ويمكن تلخيص منهج هذه المؤسّسات التعليميّة الليبرالي غير الطائفي الصحي على أفضل نحو من خلال كلمات الرئيس الأوّل للجامعة الأميركيّة في بيروت (التي كانت تُعرف في وقتها باسم الكليّة الإنجيليّة السوريّة)، المبشّر الدكتور دانيال بليس، الذي قال في مناسبة افتتاح مباني الكليّة في عام ١٨٧١[٥]:

«إنّ هذه الكليّة هي لجميع ظروف الرجال الاجتماعيّة وفئاتهم بغضّ النظر عن اللون والجنسيّة والعرق أو الدين. فيمكن لأيّ إنسان أن يدخل الكلية سواء كان أبيض أو حنطيّاً أو مسيحيّاً أو يهوديّاً أو محمّدياً أو وثنيّاً، وأن يتمتع بجميع فوائد هذه المؤسسة لثلاث أو أربع أو ثماني سنوات وأن يخرج منها مؤمناً بإله واحد أو كثير من الآلهة أو أن لا يؤمن بأيّ منهم. ولكن سيستحيل استمرار أيّ شخص معنا لفترة طويلة دون أن يُدرك الحقيقة التي نؤمن بها والأسباب وراء هذا الإيمان».

---

(٥) أدلى بهذا البيان قسّ مسيحي مبشّر وأظهر الالتزام العميق بمبادئ وتسامح الديانات الأخرى.

وما هو مثير للاهتمام أنّه خلال الحرب العالميّة الأولى، كانت الجامعة الأميركية في بيروت تحت الحكم العثماني الذي كان في حالة حرب مع الحلفاء ولاحقاً مع الولايات المتّحدة ولكن نتيجة للمبادئ التي احتضنتها هذه الجامعة والمساعدة التي قدّمتها للبلاد وبخاصة خدمات كلية الطب والمستشفى، لم تُلحق السلطات العثمانيّة الأذى بها.

في نهاية الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٨، حرّرت هزيمة الأتراك الشّرق الأوسط (أي العراق وسورية ولبنان وفلسطين ومصر) من الحكم العثماني وهذا ما طمأن العرب بشكل كبير بعد أن كانوا قد ندّدوا بالاحتلال العثماني بعنف وثاروا عليه بتمرّد.

وفي هذا الوقت، كانت مشاعر العرب نحو الشعب الأميركي في ذروتها. ويؤول الفضل بهذه المشاعر إلى المبادئ النبيلة التي أعلنها الرئيس الأميركي ودرو ويلسون. فعلى عكس نظيريه البريطاني والفرنسي اللذين ربطا مصلحتهما بالأرض، فقد آمن الرئيس ويلسون بأنّه ينبغي أن تكون رغبة الشعب العربي الحقيقية هي العامل الحاسم في تسوية مستقبلهم. وفي الخطاب الذي ألقاه في ٤ تموز من عام ١٩١٨، وضع الرئيس ويلسون المبادئ التالية كواحد من أربعة أهداف عظيمة يتقاتل شعوب العالم من أجلها.

فقال ويلسون: «تتمّ تسوية كلّ مسألة سواء كانت متعلقة بمنطقة أو بتنظيم اقتصادي أو بعلاقة سياسيّة، على أساس قبول الشعب المعني لتلك التسوية بشكل مباشر وحر، وليس على أساس المصلحة الماديّة أو النفوذ لأيّ أمّةٍ أو شعب قد يرغب بتسوية مختلفة من أجل تأثيره الخارجي أو سيادته».

وقد أبدى الشعب العربي برمّته تعاطفاً كبيراً مع الرئيس ويلسون ومع الأمّة الأميركيّة الليبرالية التي عُرفت بتعاطفها الصادق والسّخي مع أمال الأمم الضعيفة وبمساعدتها لتحقيق قضيتهم. وقد اقترح الرئيس ويلسون تأليف لجنة لتبحث بعمقٍ في الرغبة الحقيقيّة للشّعب العربي. وأطلق على اللجنة اسم **كينغ - كراين**. وبعد مقابلات مطوّلة طالت جميع أجزاء سورية الكبرى (سورية ولبنان وفلسطين) قدّمت اللجنة تقريرها الذي الذي يُظهر أنّ أغلبية الناس قد تطلّعت للحصول على أمّة مستقلّة حرّة من أيّ تدخّلٍ أجنبي. وأضاف التقرير أنّه في حال تعذّر إحراز الاستقلال وتوجّب بقاء المنطقة تحت الانتداب بشكلٍ مؤقتٍ، فقد اختار ٦٠٪ من الشعب (ومن الأغلبية المسلمة) أن يكونوا تحت الانتداب الأميركي بينما اختار ١٥٪ فقط الانتداب الإنكليزي أو الفرنسي. ولم تبصر قرارات لجنة كينغ كراين النور نتيجة للمقاومة الصلبة التي أظهرتها أطراف ثلاثة اعتبرت قرارات اللجنة عقبة في وجه مصالحها؛ وهذه الأطراف هي بريطانيا العظمى وفرنسا والحركة الصهيونيّة. وقد نجحت هذه القوى في ركن نتائج اللجنة على الرّف ولم تُنشر إلّا في عام ١٩٢٢ بعد وفاة الرئيس ويلسون. ولسوء الحظ فإنّ عمل رئيس الولايات المتّحدة الشريف الذي تماشى مع آمال وتطلعات العرب قد خُفّض إلى ما يزيد قليلاً على مستند تاريخي مثير للاهتمام. ولو أبصرت مبادئ ويلسون النور وكانت رغبات الشعب الفلسطيني حاسمة بما ينبغي القيام به في فلسطين، لتوجّب علينا أن نتذكر أنّه في ذلك الوقت، شكّل سكان فلسطين غير اليهود تسعة أعشار من الكثافة السكانيّة بأكملها وكان الفلسطينيون بالتأكيد ضد البرنامج الصهيوني.

ولم يستمر شهر العسل بين العرب والأميركيين لوقت طويل. ففي

بداية القرن العشرين، تمّ اكتشاف النفط في إيران والعراق والمملكة السعوديّة العربيّة ودول الخليج. وقد سارعت الولايات المتّحدة إلى جانب دول أخرى إلى استغلال هذه السلعة الثمينة واستثمارها وسرعان ما سيطرت على إدارة احتياطات البترول الهائلة في السعوديّة والعراق. وبالإضافة إلى المنفعة الماديّة التي تحصل عليها الولايات المتّحدة الأميركية، فقد ترافق هذا الغزو الاقتصادي مع السيطرة على القطاعات السياسية، والعسكريّة والإدارية للمملكة العربيّة السعوديّة. وفي الواقع، ففي وقت من الأوقات صنّفها بعض العرب المُعادين للسعودية كإحدى ولايات الاتحاد. إنّ خضوع بعض الدول العربيّة للسياسة الأميركيّة على الرغم من دعمها الثابت لإسرائيل قد نجم عنه عداوة شريحة كبيرة من العالم العربي وحقدهم على الولايات المتّحدة. فإنّ وجود الولايات المتّحدة وقواتّها على أراض إسلاميّة مقدّسة في السعوديّة قد أدّى إلى تحريف معنى الحركة التشدّدية الإسلاميّة، التي حضنتها وباركتها السياسة الأميركيّة، من حركة معادية للشيوعيّة إلى منظمة إرهابيّة معادية للأميركيّة وللمسيحيّة. ولذلك، ليس مستغرباً أن يكون قائد التشدّدية الإسلاميّة مواطناً سعوديّاً وأنّ أغلبية فريق الحادي عشر من أيلول هم سعوديون. ومن مفارقة التاريخ أنّ الإرهابيين الإسلاميين كما صنّفتهم الولايات المتّحدة قد وصفتهم في وقت من الأوقات كمقاتلين في سبيل الحرية حين قاتلوا احتلال الاتحاد السوفياتي في أفغانستان.

وأخيراً، ليس هناك من مناقشة كاملة للعلاقات العربيّة ـ الأميركيّة من دون أن نتطرق إلى موضوع الإسرائيليين. يعجز العرب عن استيعاب مسألة الدّعم المادي والعسكري والسياسي الكبير وغير المشروط الذي تمنحه الولايات المتّحدة لدولة إسرائيل على

حساب عزل ثلاثمائة مليون عربي ومليار وثلاثمائة مليون مسلم. ولقد تناولنا في فصول سابقة النظرة الأميركيّة غير المنصفة والمتحيّزة التي يبديها الأميركيون نحو الصّراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني. ويكفي القول بأنّ صمت الولايات المتّحدة التّام في ما يخصّ قرارات مجلس الأمن في الأمم المتّحدة التي تطالب الإسرائيليين بالانسحاب من الأراضي المحتلة، والقبول بحيازة إسرائيل لترسانة من أسلحة الدّمار الشامل فيما شنّت حرباً مكلفة من أجل ذريعة العراق نفسها، وبناء جدار عنصري فاصل على أرض عربية بين العرب واليهود من دون أي توبيخ شفهي ما عدا الأضعف الذي وجّهته الولايات المتّحدة، هي أمثلة عن بعض من الظلم الذي يمارس على العرب. وقد أجبرت هذه الأسباب العديد من العرب، بمن فيهم الأكثر تحرّراً، على تصنيف إدارة الولايات المتّحدة كعدو للعرب. وسؤالنا هو: «هل يصبّ الخط الذي تتبعه السياسة الأميركية في مصلحة الشعب الأميركي؟ وهل تدّعي السياسة الأميركيّة أنّها سوف تسلك المسار الذي يتماشى مع المبادئ الديموقراطيّة؟ أم هي مسألة معايير مزدوجة بحيث تنطبق الفئة الأولى مع السياسات الأميركيّة الداخلية والفئة الأخرى مع الشّرق الأوسط؟ ولماذا يتمّ نقض أو تجاهل القرارات الأمنيّة التي تلقي اللوم على إسرائيل بينما يتمّ التشديد على القرارات المعاديّة للعرب؟

وتفسيرنا الوحيد لهذا السلوك غير المنطقي وغير المنصف هو أنّنا نحن العرب ضحايا الجهل في الولايات المتّحدة والعالم الغربي.

فهرس الأعلام

أ

آدم ٥٧
إبراهيم (النبي) ٦٢، ٦٦، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٦
أبو جهاد ١٥٠
أبو خضرة، محمود ١٤٢
الإدريسي ١٢٢
أسامة بن منقذ ١٠٨
أللنبي، أدموند ١٤٠
أمير، ياغيل ١٥٢
إيبان، أبا ١٥٩
إيتان، رافاييل ١٥٨
الأيوبي، صلاح الدين ٧١

ب

باراك، ايهود ١٥٤
باندوباديا، ساليش كومار ١٥٧
باول، كولن ١١٢
بايس، روبرتس ١١٥
البخاري ١٢٤
برنادوت، فولك ١٤٤، ١٤٥
بلفور، آرثر ٩٦
بليس، دانيال ١٦٢
بن غوريون، ديفيد ١٤٣، ١٤٥، ١٥٥، ١٥٦
بن لادن، أسامة ٨٤
بيريز، شيمون ١٥٦
بيغن، مناحيم ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩
بوت، بول ١١١
بولس (القديس) ٥٦، ٦١، ٧٨

ت

ترومان، هاري ٩٠
تشومسكي، نعوم ٨١
تشيلديدز، إيرسكين ١٥٦
تونغ، ماو تسي ١٣١
توينبي، أرنولد ٩٧

ج

جابوتنسكي، فلاديمير ١٤٢

جار الله، حسام الدين ١٤٦
جبران، جبران خليل ٤٩
الجمل، شبلي ١٤٢
جمال باشا (السفاح) ١٣٩

ح

حبش، جورج ١١٧
حسين (الشريف) ١٣٨، ١٣٩
حسين، صدام ١١١، ١٣٤
الحسيني، جمال ١٤١
الحسيني، عبد القادر ١٤٤
حواء ٥٧

خ

الخالدي، أسامة ١١، ١٧، ٢٠
الخالدي، حسين ١٤٢
الخالدي، رملة ١٣
الخالدي، طريف ١٣
الخالدي، محمد يوسف ١٥٧

د

داوود (الملك) ٩٨
ديان، موشي ١٥٩

ر

رابين، إسحق ١٥٢
روتشيلد ١٣٢

ز

زوهار، ميشال بار ١٥٥

س

السادات، أنور ١٣٤، ١٤٩
ستالين، جوزيف ١١٠
سعيد، أمال ١٣
سلام، نواف ١٣
سليمان (الملك) ٩٨

ش

شاحاك، إسرائيل ٨١
شارون، أرييل ١٥٤، ١٥٦
شاريت، موشيه ١٤٥
شامير، إسحق ١٤٣، ١٤٤، ١٥٠
شبل، صالح ١٣
الشقيري، أحمد ١٤٧
شماعة، منير ١١، ١٧، ٢١
شوفسي، ناثان ١٥٦

ص

صامويل، هربرت ١٣٩
صلاح، عبد اللطيف ١٤٢
صليبي، كمال ١٣، ٩٨

ط

طرفة بن العبد ١٦١
طلال بن محمد (الأمير) ١٣
طومسون (البرفسور) ٩٨

ع

عازوري، نجيب ١٣٧
عبد الناصر، جمال ٣٥
عبد الهادي، أمين ١٤٦
عبود، لولا ١١٣
عرفات، ياسر ١٤٨، ١٥٠، ١٥٣
علي بن أبي طالب (الإمام) ٦٥، ٦٦
عيسى (النبي) ٧٣، ٧٥

غ

غاندي، م. م. ١٥٧

ف

فتال، رنده ١٣

ق

القاضي، ليلى ١٣
القذافي، معمر ٤٦
القلقشندي ١١٩

ك

كازينسكي، تيودور ١١٨
كاين، رودولف ١٠٨
كلينتون، بيل ١٥٣
كولومبس، كريستوف ٨٧
كيميث، كيرين ١٣٧

م

مائير، غولدا ١٠٣، ١٦٠
ماكفي، تيموثي ١١٨

م

محمد (النبي) ٦٥، ٦٧، ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ١٢٣
مسلم ١٢٤
مدفنسكي، نورتن ٨١
معاصري، ماريان ١٣
مكماهون ١٣٨، ١٣٩
موسى (النبي) ٦٦، ٧٤، ٧٥، ٧٦

ن

نتنياهو، بنيامين ١٥٢، ١٥٤
نصر، نجيب ١٣٨

هـ

هاريس، رسل ١٣
هولاكو ١٠٨
هيرتزل، تيودور ٩٥، ١٣١، ١٣٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠
هيرست، ديفيد ١٣
هيرودوتس ٣٥

و

وايزمان، حاييم ١٠١، ١٤٢
ويلسون، ودرو ١٦٣، ١٦٤

ي

يسوع (المسيح) ٦٦
يوحنا بطرس الثاني (البابا) ٧٤
يوحنا المعمدان ٧١



فهرس الأماكن

أ

آسيا ٢٣، ٣٧، ١٣٣
الأردن ٢٤، ٢٦، ٣٣، ٥٣، ٨٨، ١٤٧، ١٤٨
إسبانيا ٥٣، ٧٣، ٨٧، ٨٨، ١٠٩، ١٢٠، ١٢١
استراليا ٥٢
إسرائيل ٢٦، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٦٦، ٦٨، ٧٠، ٨١، ٨٢، ٨٩، ٩٠، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٨، ١١٧، ١٣١، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٦
أفريقيا ٢٣، ٢٦، ٥٢، ١٣١
أفغانستان ١١٧
الإمارات العربية المتحدة ٢٤، ٢٦
أميركا انظر الولايات المتحدة الأميركية
أميركا الشمالية ١١١
الأناضول ١١٠
الأندلس ٨٥
إندونيسيا ٦٨
أوروبا ٥٢، ٥٤، ٧٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٥، ١٠٩، ١٢١، ١٢٢
أوروبا الشرقية ١٣٥
إيران ٢٦، ٦٨، ٨٧، ١٣٢، ١٣٤، ١٦٥
إيطاليا ٦٤

ب

باكستان ٦٨
البحر الأبيض المتوسط ٣٥، ٤٤، ٤٧
البحر الميت ٣٨
بحيرة طبريا ٣٨
بريطانيا ٩٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣، ١٦٤
البصرة ٦٩
بغداد ٢٦، ١٠٨، ١٢١
بنغلادش ٦٨
بوروندي ١١٠
بيروت ٢٠، ٦٩، ٨٨، ١١٢، ١٢٩،

١٣٨، ١٣٩

ت

تركيا ٢٦، ٣٧، ٣٩، ٦٨، ١٣٨، ١٦١
تنزانيا ١١٠
تونس ٢٦، ١٢٦، ١٣٦

ج

الجزائر ٢٦
جزر القمر ٢٤
الجزيرة العربية ٢٦
الجولان ٣٩، ١٣٤

ح

حلب ٢٦

خ

الخليج العربي ٢٤

د

دجيبوتي ٢٤
دمشق ٢٦، ١٢٣، ١٣٨، ١٣٩

ر

رواندا ١١٠
روسيا ٩٥، ١١٠، ١٣١
روما ١٢٢
رومانيا ٩٥

ز

زائير ١١٠

س

السعودية ٢٣، ٢٦، ٨٨، ٩٨، ١٤٦، ١٦٥
السودان ٣٥، ٨٨، ١١١
سورية ٢٦، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٥٤، ٦٦، ٨٢، ٨٨، ٩٧، ١٠٨، ١٢٦، ١٣٦، ١٤٧، ١٦١، ١٦٣
سويسرا ٦٣، ١٣٧
سيريلانكا ١١٣

ش

الشرق الأوسط ١٦، ٢٦، ٤٣، ١٢٢، ١٥١، ١٦١، ١٦٣
شمال أفريقيا ٢٧، ٨٥، ٨٨، ١٢٦

ص

الصين ٤٦، ٦٨، ١٢٢

ض

الضفة الغربية ٤١، ١٣٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨

ع

العالم العربي ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٤٣، ٤٦، ٤٨، ٥١، ٥٥، ٥٧، ٦١، ٦٤، ٦٨، ٧٠، ٧٦، ٨٨، ١٠٢، ١٢٠، ١٢١، ١٢٥
العراق ١٦، ٢٠، ٢٦، ٣٧، ٤٣، ٦٥، ٦٩، ٧١، ٨٢، ٨٧، ٨٨، ١١١، ١١٣، ١١٦، ١٢٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٦٣، ١٦٥
عسير ٩٨
عمّان ٢٤

ف

فرنسا ٣٦، ٨٨، ١٣١، ١٥٧، ١٦٤

فلسطين ٢٦، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٥٤، ٦٩، ٨٨، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٨، ١٢٦، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤

ق

القاهرة ١٢٦
القدس ٧٠، ٩٨، ١٠٨، ١٣٤، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٢
قطاع غزة ١٣٤، ١٤٧، ١٤٨
قطر ٢٤، ٢٦
قناة السويس ٣٥، ٣٦

ك

كربلاء ٦٥
كندا ٥٢
الكوفة ٢٦
الكويت ٢٤، ١٣٤

ل

لبنان ٢٠، ٢١، ٢٦، ٣٣، ٣٩، ٥٢، ٥٤، ٦٨، ٧٠، ٨٨، ١١٢، ١١٣، ١٢٦، ١٣٤، ١٤٧، ١٦١، ١٦٣
لندن ٧٣، ١٤٢
ليبيا ٢٦، ٣٣

م

المحيط الأطلسي ٢٤
مصر ٢٤، ٣٥، ٣٦، ٦٨، ٦٩، ٨٨، ٩٧، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٧، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٦، ١٤٩، ١٦٣
المغرب ٢٤، ٢٦، ٣٣، ٤٦، ١٢١
موريتانيا ٢٦
الموصل ٦٩

ن

نابلس ١٤٢
النجف ٢٦، ٦٥
نهر الأردن ٣٧، ٣٨
نهر الفرات ٣٦
نهر النيل ٣٥، ٣٦
نيجيريا ٦٨
نيويورك ٧٣، ١٤٣

هـ

الهند ٦٨، ٧٣
الهند الصينية ١٢٢

و

واشنطن ١٥١
الولايات المتحدة الأميركية ١٧، ٢٤، ٣٥، ٤٣، ٥٢، ٥٤، ٦٣، ٧٦، ٨٣، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ١١٣، ١١٧، ١١٨، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٦، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦

ي

يافا ١٤٥
اليمن ٢٦، ٤٤، ٨٨
اليمن الشمالي ٨٨، ٩٨
يوغسلافيا ١١١
اليونان ٢٦

الدكتور منير شماعة

- مواليد رأس بيروت عام ١٩٢٨.
- درس في الجامعة الأميركية في بيروت، من المدرسة الابتدائية حتى كلية الطب.
- تابع اختصاصه في جامعة هارفارد في بوسطن في الولايات المتحدة. (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨).
- اختصاصي في أمراض الكبد والجهاز الهضمي.
- أستاذ سريري في كلية الطب في الجامعة الأميركية في بيروت منذ ١٩٧٥.
- ناشط اجتماعي وسياسي، انصرف إلى الكتابة منذ تقاعده.

صدر له:

- **الطب بين الحقائق والأوهام**، شركة رياض الريّس للكتب والنشر، ١٩٩٤.
- **اقلاع وهبوط**، شركة رياض الريّس للكتب والنشر، ٢٠٠٨.
- [illegible]، شركة رياض الريّس للكتب والنشر، ٢٠٠٨.

الدكتور أسامة الخالدي

- ولد في القدس عام ١٩٣٢.
- متزوج من سامية جحا.
- أستاذ مادة الكيمياء الحيوية في الجامعة الأميركية ببيروت (١٩٨٣ ـ ١٩٩٣).
- شغل عدّة مناصب استشارية وبحثية، منها:

ـ أستاذ زائر في كلية الطب بجامعة هارفرد.

ـ مستشار في وزارة التنمية والصناعة في دولة البحرين.

ـ الأمين العام للهيئة العليا للعلوم والتكنولوجيا في دولة الأردن.

ـ عضو مجلس أمناء الجامعة الأردنية للعلوم والتكنولوجيا.

صدر له:

- أربعون بحثاً في الكيمياء الحيوية وكتابان.
- العديد من البحوث في الثقافة والعلوم والتكنولوجيا.

ضحايا الجهل
مَنْ هُم العرب؟

منير شمّاعة
اسامة الخالدي

يتفق مؤلفا هذا الكتاب الطبيب والناشط الاجتماعي د. منير شماعة والباحث والأستاذ الجامعي د. أسامه الخالدي على أن الخلاص من كل آفة لا يكون إلا بالقضاء على أسبابها، ويؤكدان أن العرب ضحية الجهل: جهل الغرب بهم وجهلهم هم بأنفسهم.

لذلك يقع قارئ هذا الكتاب على كنز كبير من المعلومات التاريخية والجغرافية والدينية والاقتصادية إذ يتناول البلاد العربية مفصلاً مواقعها ومساحاتها وعدد سكانها ومواردها الاقتصادية. وكذلك البلاد غير العربية ذات الكثافة الإسلامية. ثم ينطلق إلى تعريف موجز ومقارن بالأديان الرئيسة وكيف ينظر كل منها إلى الآخر متناولاً قضايا إشكالية شائكة منها: التشددية الدينية في الأديان الثلاثة، والتسامح الديني في المقابل، كما يوضح مفاهيم: الجهاد والحجاب وتعدد الزوجات في الإسلام.

ويخصص المؤلفان مساحة وافية لشرح قضية فلسطين ابتداء من تأسيس دولة إسرائيل وصولاً إلى توسعها برعاية أميركية وأوروبية ليس فقط بتأثير من ضغوط اللوبي الاسرائيلي بل أولاً وقبل كل شيء بسبب جهل الغرب للعرب والمسلمين وازدرائهم لهم رغم اسهامات هؤلاء الثقافية والحضارية العالمية على مرّ القرون.



